



د. ممدوح حمادة

فن الكاريكاتير

من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة



فن الكاريكاتير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
دمشق / 1999
دار عشروت للطباعة والنشر
هاتف: 6332171

د . ممدوح حماده

فن الكاريكاتير

من جدران الكهوف الى أعمدة الصحافة

بحث

مقدمة

يحظى فن الكاريكاتير باهتمام واسع من قبل القراء، ويعتبر الفن الأكثر شعبية بين باقي الأنواع التشكيلية، ولكنه بين هذه الأنواع يعتبر الأقل إثارة لاهتمام النقاد والباحثين، فقلما نجد بحثاً حول هذا الموضوع وإذا فتشنا في أدراج العناوين في المكتبات فإننا ربما نعثر بصعوبة باللغة على عنوان يتعلق بهذا الموضوع في بعض هذه الأدراج، ولكننا لن نعثر عليه في معظمها. ويرجع البعض هذا الإهمال إلى اعتبار الكاريكاتير فناً من الدرجة الثانية لدى النقاد وذلك لبساطة تقنياته التشكيلية التي لا تخوله بتقديم تجارب واستعراضات تشكيلية معقدة، ويلعب في ذلك دوراً كون الكاريكاتير يعتبر ابناً عاقاً للفنون التشكيلية فهو رغم انتمائه بالوراثة إليها إلا أنه يرتبط بالصحافة أكثر منها وبالتالي فإنه يتعرض للإهمال من قبل النقاد والباحثين التشكيليين، ولكن انتماء الكاريكاتير للصحافة باعتقادنا لا يتنافى مع انتمائه التشكيلي فهو أحد الأنواع التشكيلية الصحافية مثله مثل الرسوم الغرافيكية التي تشكل رسوماً تصويرية للأعمال الأدبية المنشورة في الصحافة أو الصورة الفوتوغرافية، ويعود هذا الانتماء المزدوج بالدرجة الأولى إلى حيوية الكاريكاتير التي تتطلب وصولاً سريعاً إلى القراء وبالتالي فإن المعارض الفنية لهذا النوع غير فاعلة والاكتفاء بها

يؤدي إلى تحجيم دوره، ومن هذا المنطلق فإن الصحيفة هي المعرض الذي يعتمد الكاريكاتير.

في هذا الكتاب نقوم بمحاولة لرصد تاريخ فن الكاريكاتير والبحث عن جذوره في تاريخ الفن التشكيلي منذ القدم، وبسبب قلة العناوين التي تناولت هذا الموضوع، واقتصارها على مقالات متفرقة في صحف متفرقة فقد كان البحث أشبه ما يكون بحفر نفق مظلم لا نعرف إلى أين يؤدي، وفي نفس الوقت فإن تشعب المواد التي تطلب اللجوء إليها جعل الأمر أشبه بعملية تحبط وسط بحر عارم لا تبدو شطآنه. لا ندري من أين نبدأ ولا ندري اتجاه سيرنا فالحضارات القديمة جميعها تحتوي على جذور السخرية التشكيلية، الأمثلة كثيرة ولكنها غير مكشوفة للعيان وموجودة بلغات مختلفة وفي أماكن مختلفة لا تخولنا إمكاناتنا المعرفية والمادية والزمنية من الحصول عليها كافة أو التوقف عندها جميعاً، ولكننا توقفنا عند أهم المراجع ونعتقد أننا تعرفنا إلى أهم المواقع في تلويخ الكاريكاتير وقدمنا بالتالي عملاً يعطي فكرة عامة عن تاريخ الكاريكاتير ويمكن رفده بالمعلومات وتدقيقه في أعمال أخرى.

وفي ما يخص المراحل اللاحقة من تاريخ الكاريكاتير فإن البحث يبدأ قبل «هو غارت» و«غويا» ومن جاء بعدهما، فقد تبين أن المبالغة التشكيلية بدأت قبل ذلك عند زواد عصر النهضة الأوروبية على شكل دراسات تشريحية جديدة، كما عند «دافنشي» أو تجارب تشكيلية كما عند «بوش» و«بريغيل» أو ظهور السخرية في الموضوعات المعالجة مثلما عند «أوستادي»، ولذلك فقد وجدنا لزماً علينا الاطلاع على أعمال الكثير من الفنانين في عصر النهضة ووجدنا عند معظمهم أعمالاً لا تخلو من المبالغة وهي جميعها تشكل تأسيساً لظهور الكاريكاتير.

أما بعد «غويا» و«هو غارت» و«أوستادي» فقد أصبحت الصورة واضحة وأصبح فن الكاريكاتير فناً متبلوراً رغم أنه قد لا يكون اكتسب هذا الاسم

بعد، واعتباراً من هذه المرحلة فقد أخذنا نتوقف عند كل بلد وكل اسم على حده وقد تكون بعض الأسماء قد تعرضت للبحث أكثر من غيرها ولكنها أسماء مفصلة في تاريخ الكاريكاتير رأينا من الضروري التوقف عندها، والكلام نفسه ينطبق على بعض المراحل والبلدان، حيث كانت هذه المراحل مراحل ذهبية في تاريخ فن الكاريكاتير وكانت هذه البلدان مهداً له.

وفي الختام نعتقد أننا قدمنا مادة ضرورية للقارئ المهتم بتاريخ الكاريكاتير وإنارة معقولة لهذا الموضوع، ونؤكد أن أي بحث لا يمكن له أن يحيط بشكل كامل بهذا الموضوع الذي لا يكتمل إلا عبر التراكم.

المراحل التاريخية الأساسية لتطور فن الكاريكاتير

إن الكاريكاتير كفن مستقل تبلور بشكل تقريبي في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل التاسع عشر وبشكل أساسي في بلدان أوروبا، على القاعدة الفنية لعصر النهضة الأوروبية.

ولكن الكاريكاتير كفن مركب من عنصري التشكيل والكوميديا، أو السخرية له جذوره القديمة الضاربة في أعماق التاريخ، لدرجة تدفع بعضهم للقول إن الكاريكاتير ولد مع ولادة الإنسان. ويمكن العثور على الرسوم الكوميديّة في آثار تعود حتى لحضارات وفنون ما قبل التاريخ. حيث كان الإنسان يصور على جدران مغارته، وعلى الصخور حياة الحيوانات المحيطة به وحياته الشخصية. وقد عثر على الكثير من الرسوم التي تحتوي على عناصر الكوميديا والسخرية على الكثير من جدران الكهوف في فرنسا وإيطاليا وأمريكا الجنوبية والجزيرة العربية والصحراء الجزائرية وقبرص وفي الكثير من الأماكن الأخرى.

ولعل أبرز ما تم العثور عليه هو تلك الرسوم المنقذة على الصخور والتي عثر عليها بكميات كبيرة في الصحراء الجزائرية، والتي تتميز السخرية فيها عن السخرية في فنون الحضارات القديمة الأخرى كما يؤكد القس «بريل» الخبير

بفن ما قبل التاريخ، بأنها لا تحمل الطابع الديني. وبين هذه الرسوم ما يكتفسي بالتشويه والمبالغة في رسم الأشكال البشرية، وبينها ما يحتوي على عناصر الكوميديا والسخرية في موضوعه. فعلى جرف صخري في (وادي الجرات) مجموعة كبيرة من الرسوم ذات الموضوع الجنسي، وهي الرسوم الأكثر فحشاً من بين الرسوم الجنسية التي تعود لحضارات ما قبل التاريخ. فعلى هذا الجرف رُسم رتل طويل من الرجال ذوي القرون، وأعضاؤهم التناسلية جاهزة للاتصال مع أعضاء تناسلية مؤنثة، ومن الجدير بالذكر أن التفاصيل التشريحية في هذه الرسوم منفذة جميعها بإتقان بالغ ورغم الوضوح التام للشكل الخارجي لهذه الرسوم فإنه من غير المحتمل أن البشر سيفهمون في يوم ما المضمون الحقيقي الذي أراده الرسام من هذه الرسوم المضحكة. وفي مكان آخر على هذه الصخور امرأة، على رأسها قبعة من القش حادة الأطراف يهددها من ثلاث جهات ثلاثة أعضاء جنسية ذكرية.

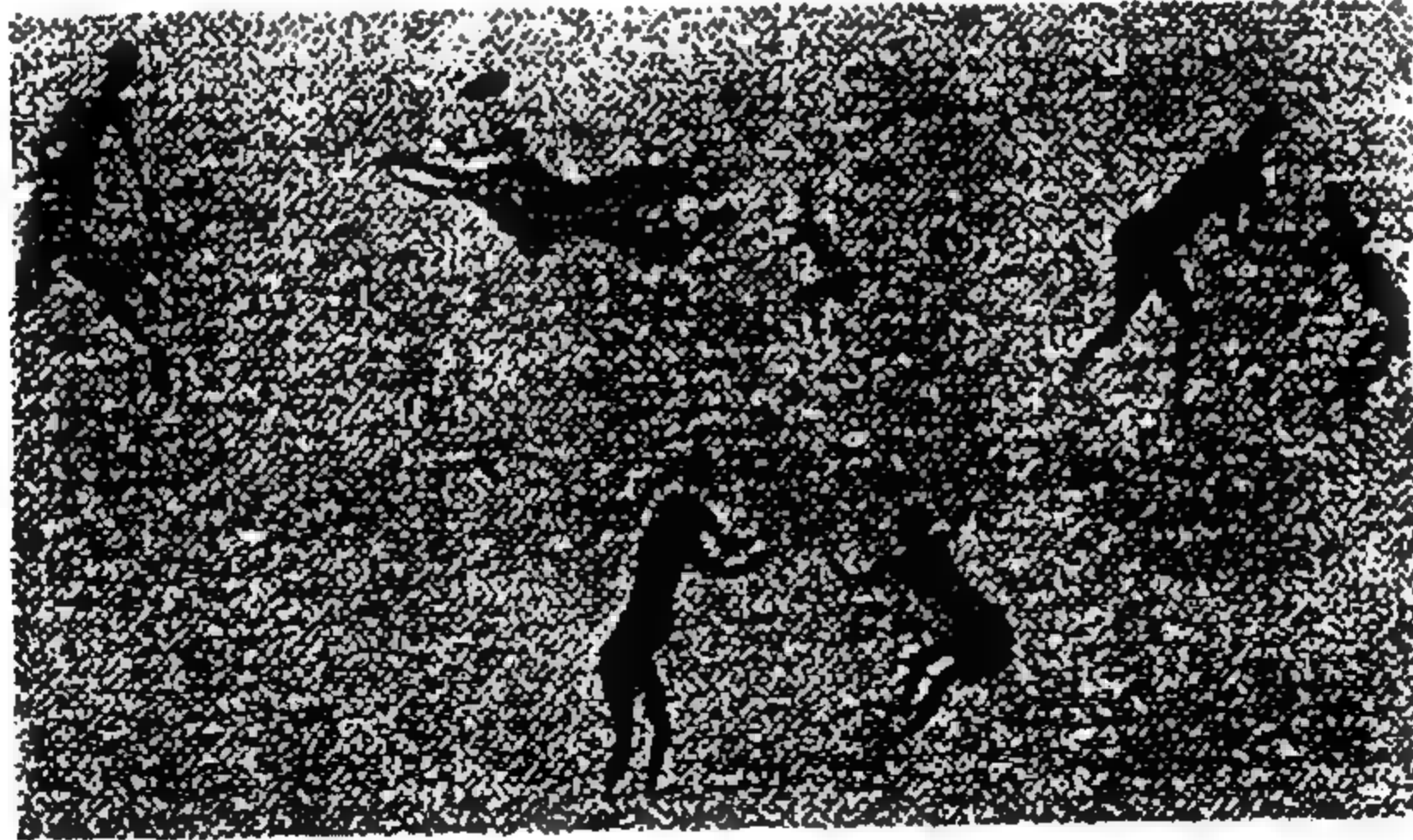
وفي منطقة (تيسوقاي نافيلام) في الصحراء الجزائرية أيضاً عثر على رسم فوق إحدى الصخور يصور مخلوقاً غريباً يجلس القرفصاء، وله عضو تناسلي ضخيم، وذيل أزلط، وأذنان كبيرتان حادّتا النهايتين، وعينان دائريتان واسعتان وأنف معقوف كمنقار البوم. وإلى الشمال الغربي من هذه المنطقة رُسم على إحدى الصخور يصور أشخاصاً ممشوقى القامات لهم ذقون طويلة، دقيقة النهايات ويرتدون جلود وحوش مغلقة عند الصدر مسلحين بالسهام والأقواس ذات الانحناءات الثلاثة يذكرون بالحاربين "الهكسوس" الذين احتلوا مصر في حوالي 1550 ق.م، وبالنقوش السومرية العائدة الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.

في هذه الرسوم جميعاً يُلاحظ التشويه في المقاييس التشريحية لجزء من الجسم أو للجسم كله ولكنه يمكن القول إنه رغم ذلك فإنه لا يمكن التأكيد على المضمون الساخر فيها.

إلا أنه تم العثور على رسوم ذات مواضيع، يؤكد الكثير من الباحثين بشكل قاطع أنها ساخرة. من هؤلاء الباحثين القس «بريل» الذي دُهِش للطابع القصصي الذي تحمله مجموعة من الرسوم التي تم العثور عليها في الصحراء الجزائرية، والتي قام القس بدراستها بشكل عميق وأكد على أن المضمون الفكاهي فيها، يحتل المكانة الأولى، وقد أثارت هذه الرسوم تساؤلات كثيرة لدى القس، فهل يدور الحديث عن حركة قطع من الثيران؟ أم عن مضارب الرعاة المكونة من الأكواخ، أم عن ثيران مقيدة أم عن نساء يمشطن شعور بعضهن بعضاً أم عن صيد الغزلان أم عن اقتسام لحم حمار الوحش أم عن كل هذه الأشياء مجموعة؟ والتي تشكل مع بعضها بعضاً صورة مكتملة لحياة رعاة القطعان في البراري السودانية، حتى عصرنا الراهن.

وفي بعض الأحيان يبلغ التعبير الفكاهي أوجه بالنسبة إلى ذلك العصر في بعض هذه الرسوم، وهذا الصدد يمكن الإشارة إلى رسم ذي مضمون جنسي، تم اكتشافه ونسخه على الكوتشوك في عام 1956 من قبل بعثة أثرية فرنسية، يقودها عالم الآثار الفرنسي الشهير «لوت» وقد رسم على صخرة ليس من السهل الوصول إليها حيث يقع الرسم على ارتفاع ستة أمتار وكأن الرسام أراد أن تقع عليها عين الناظر مهما كانت الجهة التي مر بها من هذا المكان. وفي هذه اللوحة التي تمثل العلاقة بين المرأة والرجل لا شيء فاضح، ونقول لا شيء فاضح لأن تصوير عملية الاتصال الجنسي في ذلك الوقت لم تكن أمراً خارجاً عن الحياء العام وهذا ما عرفتته الكثير من الحضارات القديمة مثل الحضارة اليونانية، وبعض حضارات القارة الأمريكية البائدة، وهو ما زال موجوداً حتى عصرنا الراهن، لدى بعض التجمعات البشرية مثل بعض قبائل الأسكيمو وبعض قبائل الهنود الحمر وبعض القبائل الأفريقية البدائية والتي تعتبر عملية الاتصال الجنسي الجماعي عندها أمراً عادياً جداً لا يختلف عن تناول الطعام والشراب، ومن الممكن أن هذا الرسم يصور عملية اتصال جنسي جماعي أو

مكاناً للدعارة أو حتى من الممكن مراحل مختلفة لقصة واحدة، ومن الممكن أيضاً أنه يصور الأشكال المختلفة لعلاقة الرجل بالمرأة، ففي الوسط من الأعلى امرأة مستلقية منفرجة الساقين وفوقها رجل بوضعية لا يمكن أن تفهم إلا بشكل واحد، والمضحك أن امرأة تجلس القرفصاء على يمينها وتلوح بيدها وكأنها تعد لهما الحركات أو تضبط إيقاع العملية، إن هذا يذكرنا بلقطة من فلم كازانوفيا للمخرج الإيطالي الشهير " فيليني " حيث يقوم الجمهور بتحريض كازانوفيا على مقارعة رجل آخر اشتهر بقوته الجنسية فيختار كل منهما امرأة ويبدأ النزال بينما يقوم الجمهور بالعد لهما، تماماً كما تفعل هذه المرأة التي تجلس القرفصاء، وإلى أقصى اليمين رجل يشد امرأة من يديها جاذباً إياها نحوه ناظراً إلى الرجل والمرأة المستلقين، وكأنه يدعوها للقيام بنفس العمل. إلا أن المرأة تتمتع، وفي أسفل الرسم رجل يدعو امرأة، إلا أن المرأة ترفع يديها بحركة تدل على أنها غير راغبة بما يقترحه عليها الرجل، وإلى اليسار امرأة تقرب من رجل يحاول الإمساك بها محاولة إنقاذ نفسها من عناق لا حاجة لها به، وإلى الأعلى قليلاً على يسار الرسم رجل يمسك بالقوس ومنظره وحركته يدلان على أنه غاضب لأمر ما ويتجه باتجاه المرأة والرجل المستلقين وكأنه يريد الانتقام للخيانة التي يرتكبها وربما هذا الرجل الغاضب زوج تلك المرأة أو شيئاً من هذا القبيل (الشكل 1).



الشكل (1) رسم على الصخور في جنوب الصحراء الجزائرية

إن حضارة جنوب الصحراء الجزائرية ما تزال حتى الآن حضارة مجهولة الأصول وبحاجة إلى الكثير من البحث والدراسة، حيث أنه لم يتم العثور في هذه الأماكن على مقابر أو أثر بشري آخر يدل على تواجد البشر غير هذه الرسوم، ورغم توفر بعض الرسوم التي تشبه الرسوم المصرية أو السومرية إلا أن هذا لا يدل على أن حضارة الصحراء تنتمي إلى الحضارات الشرق أوسطية المذكورة. إذ أن عدد الرسوم العائدة لهذه الحضارات قليل جداً، ولا يقارن بعدد الرسوم التي تعود لحضارة الصحراء الجزائرية.

ومن الرسوم التي عثر عليها في شبه الجزيرة العربية على إحدى الصخور، والتي تحتوي في مضمونها على شيء من السخرية يمكن الإشارة إلى رسم يصور شخصين يحتسيان الخمر يجلسان على كرسيين منخفضين وفي يد كل واحد منهما قدح، وحركة الجسم تشير إلى أن الرجلين يترنحان فوق الكرسيين. وليس لدينا معلومات مع الأسف عن تاريخ هذا الرسم وغيره من الرسوم الكثيرة التي عثرت عليها البعثات الأثرية في مختلف البلدان والتي ما تزال بحاجة للكثير من البحث لاكتشاف محتوياتها.

إلا أن الصورة تصبح أكثر وضوحاً عندما نبدأ بالاطلاع على الرسوم والمنحوتات، التي تنتمي إلى الحضارات القديمة التي نالت قسطاً وافياً من الدراسة والبحث، والتي يمكن اعتبارها كذلك الأساس الجيني للفن التشكيلي الساخر في العصور اللاحقة وذلك انطلاقاً من تأثيرها اللاحق على تطور الحضارة البشرية حتى يومنا الحاضر وخاصة منها تلك الحضارات التي سادت سورية ومصر وما بين النهرين وكذلك الحضارات اليونانية والرومانية والصينية والهندية وغيرها من الحضارات القديمة.

تعتبر الأديان القديمة من أهم منابع السخرية، سواء في الأدب أم في التشكيل فمعظم أشكال المبالغة الموجودة سواء في الأدب أم في التشكيل

مأخوذة من هذه الأديان. أولها الصفة الدينية، وفي المراحل الأولى لظهور الأسطورة لم يكن يتم تصوير الآلهة بطريقة البورتريه وإنما كان يتم تصوير الملامح المميزة لهذه الآلهة، والتي كانت الأشكال تبعاً لها تعطى إما طابعاً مخيفاً يبعث الرعب وإما طابعاً كوميدياً ساخراً، ويمكن القول إن الهدف من المبالغة في البداية لم يكن بالضرورة السخرية وأحياناً لم يكن السخرية أبداً، فعند البابليين على سبيل المثال كان يتم تصوير الأرواح الشريرة بوجوه قبيحة وعلى شكل أنصاف الحيوانات، وكان من المفترض بهذه الأشكال أن تبعث الرعب في الإنسان، وكان الإنسان يقوم بمسح أشكالها ربما انتقاماً منها، فعفريتة الحمى "لاماشتو" على سبيل المثال، كانت تصور كامرأة عجوز بنهدين متهدلين، وقوائم طير جارج ورأس أسد قبيح، وكانت تصور أحياناً واقفة على قدميها، مقوسة الظهر يرضع من ثديها كلب أو خنزير، أو تصور وهي راكبة حميراً للحظ من مستواها، وأحياناً كانت تحمل مغزلاً أو مشطاً، والكلب والخنزير هما الحيوانان النجسان عند البابليين، كما هو معروف. (الشكل 2) وكان لعفريت الزوابع "بازوزو" (الشكل 3) وجه مفرع كان بالإضافة إلى باقي صور العفاريت يستعمل لأغراض السحر ويوضع على قلائد النساء، وكانت صور العفاريت تصنع على شكل تماثيل صغيرة تستخدم لطرد الأمراض والأرواح الشريرة من البيوت. وعدا عن التماثيل التي تصور العفاريت يمكن العثور على عناصر المبالغة في الرسوم التي كانت ترفق بالتعاويذ، التي كانت تستخدم كذلك لأغراض السحر ففي إحدى هذه التعاويذ، التي كتبت باللغة الآرامية على قرص من الفخار (الشكل 4) يمكن العثور في الوسط على رسم لإنسان يشبه في طريقة تنفيذه الكاريكاتير ورسوم الأطفال.

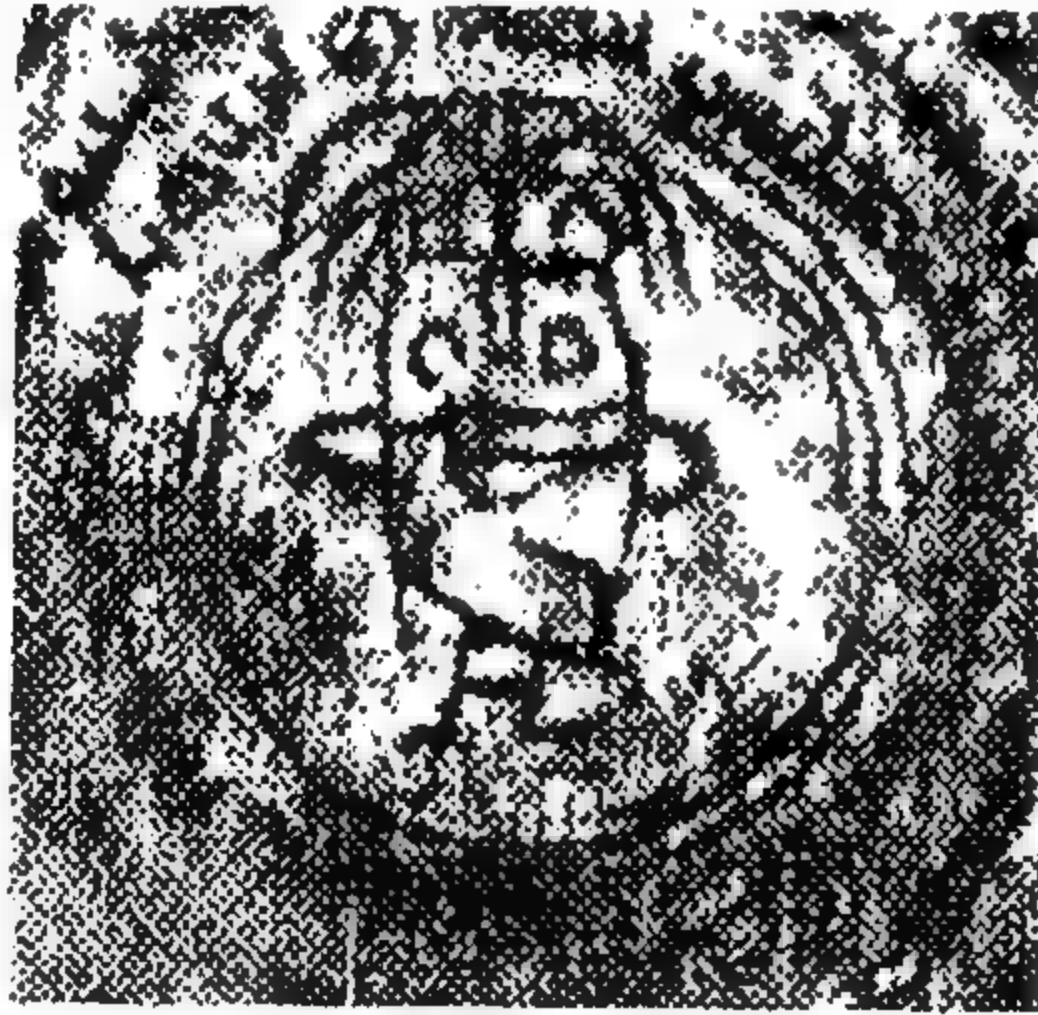
وبين آثار الفينيقيين سواء في سورية أو في قرطاج يمكن العثور على الكثير من الآثار التي تحمل الطابع الديني وتحتوي في مضمونها أو في أسلوب تنفيذها على عناصر المبالغة الساخرة، ويمكن الإشارة بشكل خاص إلى تلك الأقنعة

الفخارية ذات الوجوه الضاحكة، والتي كان الهدف منها في أغلب الظن إخافة
أو إضحاك العقاريت والشياطين، لكي تؤمن، الهدوء للأحياء والأموات ومن
الممكن أيضاً أن هذه الأقنعة كانت تصور تلك العقاريت نفسها، فقد كان
حجمها أصغر من حجم الوجه البشري، مما يبعث على الاعتقاد بأنها لم تكن
تصنع لكي يرتديها البشر، ويتم تقسيم هذه الأقنعة إلى عدة مجموعات:



الشكل (3)

رأس العقريت بازوزو، من الحضارة البابلية
من القرن 6 ق م



الشكل (4)

قرص من الفخار يحتوي على تعاويذ سحرية باللغة
الآرامية من القرن 2 ق م ويعود لحضارة بابل.
(لاحظ الرسم وسط القرص)



الشكل (2)

أحد نماذج العقريّة لأماشتو،
من الحضارة البابلية من القرن
12-13 ق م .

أقدمها: وتعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وتعتمد التشويه في تصوير ملامح الوجه حيث العيون مفتوحة بشكل غير طبيعي، والأنف مضغوط والفم أعوج ومدود إلى الجانبين، والوجه كله مغطى بالثآليل والنوام، وكانت هذه الأقنعة لفترة طويلة تعد نتاجا بونيا خالصا ويتم النظر إليها كنتاج للثقافة الفينيقية القرطاجية بالذات، ولكن الاكتشافات الأخيرة على الساحل السوري تؤكد على أن هذه الأقنعة ذات أصل فينيقي سوري إن صح التعبير. حيث تم العثور على مثل هذه الأقنعة، بكمية كبيرة نسبيا وتاريخ صناعتها يعود لفترة أقدم من الفترة التي يعود إليها تاريخ صناعة الأقنعة القرطاجية. وفيما بعد حدث بعض التغير في هذه الأقنعة في الفترة البونية فظهرت مجموعة أخرى تميزت بأنها كانت تخلو من التشويهات الخلقية والثآليل والاعوجاجات وأخذت تحل محلها العضون على الجبين والخدين وأصبحت العيون تأخذ شكل هلالين متحدبين للأعلى مثقوبين في الوسط والفم مفتوح ينفرج عن صفين من الأسنان بشكل ضاحك ولكنه منذر بالسوء (الشكل 5).



الشكل (5)

ثلاث وضعيات لقناع فينيقي من القرن السابع أو السادس ق م ، يعود للحضارة الفينيقية القرطاجية.

ويؤكد الكثير من الباحثين أن الأقنعة بالذات هي واحدة من المظاهر الأولى لانتقال السخرية إلى الفن التشكيلي، ونادراً ما يخلو فن شعب ما أو حضارة ما من الأقنعة التي تحمل في طريقة صنعها عناصر السخرية أو الكوميديا، فبين الآثار التابعة للحضارة "التلينبكية" وهي إحدى حضارات القارة الأمريكية القديمة، والتي كانت موجودة في الجنوب الشرقي من منطقة "آلاسكا" حالياً عشر على قناع جلدي يعود إلى 700 — 200 ق.م لوجه ذي عينين دائريتين وحاجبين محدبين وأنف معقوف كمنقار البوم، والفم ممدود إلى الجنبين متسماً منفرجاً عن صفيين من الأسنان، وقد عثر على هذا القناع في عام 1885م (الشكل 6).



الشكل (6)

قناع جلدي من الحضارات الأمريكية القديمة.

و في الحضارات القديمة التي كانت سائدة في القارة الأمريكية بشكل عام يمكن العثور على الكثير من الرسوم و المنحوتات ، التي تعود الى آثار حضارة "المايا" التي كانت سائدة في المكسيك مثلاً والمصنوعة في المرحلة التقليدية المتقدمة لهذه الحضارة، يمكن ذكر رسمين يصوران آلهة الجحيم ويعودان إلى المرحلة التي تمتد ما بين القرن السادس والتاسع تقريباً ففي الرسم الأول تقوم آلهة الجحيم بتعذيب أحد الأشخاص على ما يبدو وطريقة رسم هذه الصورة تشبه إلى حد كبير المبالغة المستخدمة في فن الكاريكاتير (الشكل 7) ، أما الرسم الثاني فيصور آلهة الجحيم ترقص ولها شكل قردين أسودين، أحدهما إلى يسار الرسم سمين ويرتدي ربطة حول العنق ، أما الثاني فهو نحيف ويرتدي حول

رقبته قبة عريضة، ويمكن أن يكون الأول ذكراً والثاني أنثى. حيث أن الثاني له جديلة معقوفة من الخلف، والإثنان يغطيان عورتيهما بقطعتين من القماش وإلى أقصى اليمين مخلوق يشبه القرد أيضاً، يعزف لهما على آلة تشبه الطبل. (الشكل 8).



الشكل (7)

رسم يمثل آلهة الجحيم، من الحضارات الأمريكية القديمة.



الشكل (8)

رسم يمثل آلهة الجحيم ، من الحضارات الأمريكية القديمة.

ومن بين الآثار العائدة للحضارة "التوتوناكية"، وهي إحدى حضارات المكسيك القديمة، يمكن الإشارة إلى تلك التماثيل الفخارية الصغيرة المصنوعة في الفترة الممتدة بين أعوام 800 — 900 والتي يجمعها موضوع واحد وهو أنها تصور إنسانا يضحك في وضعية واقفة، يتحدث بشيء ما رافعا إحدى يديه إلى الأعلى، وأغلب الظن أن مضمون هذه التماثيل مستمد من موضوع فكاهي، (الشكل 9).



الشكل (9)

تماثيل فخارية صغيرة يمثل شخصا ضاحكا،
من الحضارات الأمريكية القديمة.

كما ويمكن العثور على الكثير من الرسوم التي تعتمد المبالغة التشريحية وخاصة في معالم الوجه في الرسوم التي نقشت على المسلات، التي عثر عليها في بلدان أمريكا الجنوبية، ومن هذه المسلات مسلة تعود لحضارة "المايا" نقش عليها رسوم تصور ربما محاربين وأسرى أو أسايادا وعبيدا وربما لها مضمون ديني آخر إلا أن ما يهمنا هو أن الوجوه وخاصة في الجزء السفلي قد صورت بشكل "كاريكاتيري" بحت (الشكل 10). فالرؤوس مفلطحة والأنوف معقوفة، والشفاه ممطوطة وإلى ما هنالك من أشكال المبالغة.

وبين آثار حضارة "الانكا" التي كانت سائدة في "البيرو" يمكن العثور على الكثير من الأواني الفخارية، وقد رسمت عليها أشكال بشرية مشوهة، مبالغ فيها تصور محاربين وأسرى وأشباه بشر، وحيوانات في وضعيات مختلفة.

وتعتبر آثار الحضارة الإغريقية من أكثر الحضارات القديمة احتواء على المبالغة الساخرة سواء في الشكل أو في المضمون ومن بين هذه الآثار يمكن الإشارة إلى المجموعة الكبيرة من المنحوتات والرسوم، التي تصور رأس «الميدوزا»⁽¹⁾ فقد كانت الرسوم التي تصور رأس «الميدوزا» تزين دروع المحاربين رمزا للشجاعة، وتزين تيجان الأعمدة، وبوابات المنازل، والقصور وكذلك جدران المعابد والقبور ويمكن العثور عليها بأعداد كبيرة سواء في الحضارة اليونانية أو في الحضارة الرومانية.

(أنظر الأشكال 11 — 12 — 13 — 14 — 15) وفي جميع هذه المنحوتات والرسوم يحمل وجه «الميدوزا» تفاصيل واحدة تقريبا، حيث يتكون شعرها من الأفاعي ويفتر قمها عن ابتسامة شريرة وأسنان مخلة متفرقة عن بعضها البعض ولسان ممدود وأنف أفطس أو مفلطح ولها عينا مفتوحتان على اتساعهما أو عين مفتوحة وعين مغلقة وحاجبان محدبان وكانت هذه الرسوم دائما تعطي لوجه «الميدوزا» الطابع الشرير.

ومن الفنانين الذين اشتهروا برسم «الميدوزا» في القرن الأول قبل الميلاد فنان من إحدى مدن آسيا الصغرى، وكانت له لوحات كثيرة لها موضوع الأسطورة واسمه «تيموماخ». ونشاهد المبالغة في الخطوط، في شكل واضح في جميع الرسوم التي تصور «الميدوزا»، وعلى الأواني الكثيرة التي عثر عليها والعائدة إلى الحضارة الإغريقية كذلك يمكن العثور على الكثير من الرسوم التي تحمل عنصر المبالغة أو المضمون الساخر أو الكوميدي، وأعداد هذه الرسوم كبيرة لدرجة يصعب حصرها أو التنويه إليها جميعا، ولذلك نكتفي ببعض الأمثلة التي تفي بالغرض، فعلى إحدى هذه الأواني مثلا يمكن مشاهدة رسم

يصور ولادة «أفروديت»⁽²⁾ إلهة الحب والجمال، حيث «أفروديت» في الوسط وحوّلها يرقص مخلوقان غريبان لهما جسمان بشريان ورأسا تيسين، ويعود تاريخ هذه الآنية إلى العام 460 ق.م وهي محفوظة في متحف بوسطن.



الشكل (11)

تاج أحد الأعمدة الأتروسية،
ويصور رأس «الميدوزا» من القرن 6 ق م.



الشكل (10)

رسم على مسلة،
من الحضارات الأمريكية القديمة.



الشكل (13)

رأس «الميدوزا» يزين جدار أحد معابد
اليونان القديمة. نحت من عام 585 ق م.



الشكل (12)

رأس «الميدوزا»
كما صورته اليونانيون.



الشكل (14)
رأس «الميدوزا» كما
صوره الأتروسيون.



الشكل (16)
رسم على آنية فخار من الحضارة اليونانية
يصور «ديونيس» و «هيروس».

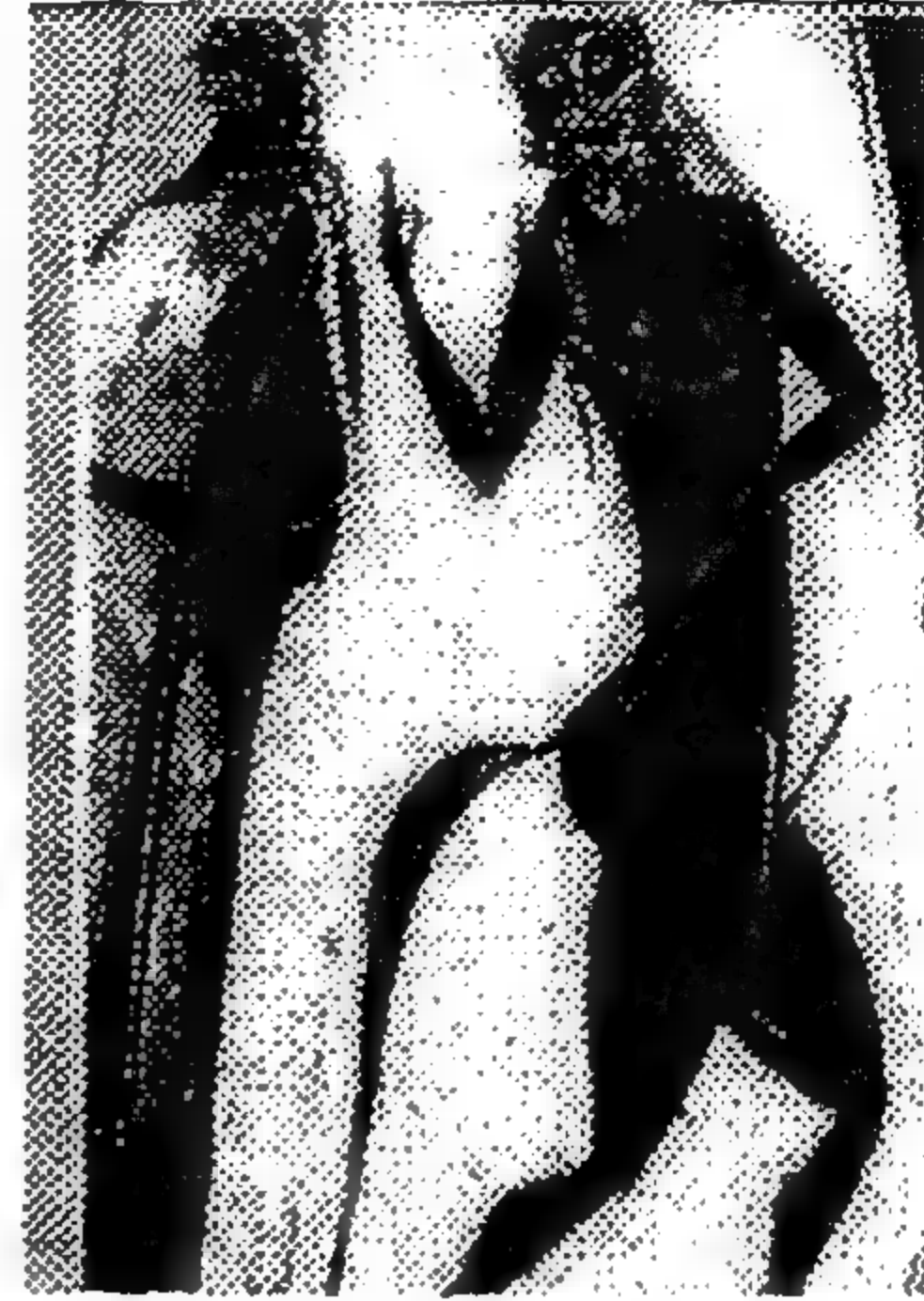


الشكل (15)
«برسيوس» يقطع رأس «الميدوزا»
و إلى جانبه «أثينا».
نحت يعود إلى 510-520 ق م.



الشكل (18)

رسم على آنية فخارية، يصور «مارسيوس»
يستمتع الى العزف على الناي.



الشكل (17)

رسم على آنية يونانية ، يصور «سيلين».



الشكل (20)

رسم على آنية فخارية، من الحضارة
اليونانية يمثل الاحتفال بالاله «ديونيس».



الشكل (19)

رسم على آنية فخارية ، من الحضارة اليونانية،
يمثل الاحتفال بالاله «ديونيس».

وعلى آنية أخرى رسم يعود إلى القرن الرابع ق.م، يمثل إله الخمر «ديونيس»⁽³⁾ و«سيلين»⁽⁴⁾ الأصلع الذي تنبثق من صدغيه أذنان قصيرتان، يسكب له الخمر (الشكل 16). وفي رسم آخر يمكننا مشاهدة «سيلين» في حالة من السكر يتبول على نفسه، ويغني أغنية مرحة. وهذا الرسم يعود إلى النصف الثاني من القرن السادس ق.م (الشكل 17).

وعلى آنية أخرى رسم يمثل «مارسيوس»⁽⁵⁾ يستمتع بالاستماع للعزف على الناي ويبدو أصلع عاريا ذا كرش مندلق أمامه وحوله نساء يرقصن، وشخص يحمل رمحا وله قائمتان خلفيتان تشبهان قوائم الحمار أو الحصان (الشكل 18). ويعود هذا الرسم إلى حوالي 360 ق.م، وتصور الكثير من الرسوم المنفذة على الأواني المختلفة الاحتفالات، التي كانت تجري على شرف الإله «ديونيس» وأشخاصا يرقصون، ويغنون أو يقومون بطقوس أخرى، لهم زيوس ورؤوس حيوانات أولهم أشكال مضحكة (الشكل 19)، و(الشكل 20). وكان هؤلاء الأشخاص عادة يمثلون مخلوقات شبه إلهية، ترافق الإله «ديونيس». (أنظر كذلك الشكل 21، الشكل 22).



الشكل (22).

رسم على آنية فخارية يونانية، يصور «سيلين» سكرانا، حوالي 500 ق.م.



الشكل (21).

رسم على آنية فخارية يونانية، يصور «ساتير».

ويمكن العثور على عناصر المبالغة والسخرية كذلك في الكثير من التماثيل والمنحوتات الجدارية القديمة، وبطل هذه المنحوتات أيضا كان في معظم الأحيان الإله "ديونيس" أو المخلوقات المرافقة له، أو كانت تصور أعيادا وأحداثا متعلقة به. ومعظم هذه المنحوتات كانت تلجأ إلى إظهار المبالغة بشكل خاص في تصوير الأعضاء التناسلية، ومن هذه المنحوتات يمكن الإشارة إلى التمثال الذي يمجّد الإله "ديونيس" والذي يصور عضوا جنسيا ذكريا ضخما على قاعدة حجرية نحت عليها كذلك جسم رجل (الشكل 23). ومن هذه التماثيل أيضا يمكن الإشارة إلى التمثال الذي يصور الإله "بلوتون"⁽⁶⁾ إله مملكة الأموات يشد عضوه التناسلي الضخم إلى كتفه (الشكل 24)، وكذلك الأمر يمكن الإشارة إلى المنحوتة التي تصور "برياب"⁽⁷⁾ إله البساتين والأراضي، وقد انتصب عضوه وانحنى إلى الخلف (الشكل 25). والكثير من الأمثلة الأخرى التي يمكن سردها، وليس ذلك بغريب على الحضارة اليونانية لأن اليونانيين القدماء كانوا كما يصورون آلهتهم بأشكال بشرية وينسبون إليها تصرفات بشرية، فقد كانوا يتعاملون مع هذه الآلهة تعاملهم مع البشر فكان بعضها محطاً للتقدير والاحترام، وبعضها الآخر هدفاً للكراهية والبغض. وبعضها الآخر هدفاً للسخرية، وهكذا دواليك.. ولذلك فلم يكن من الغريب أن ترى الآلهة اليونانية بهذه الأشكال المثيرة للضحك، لأن من بين هذه الآلهة الكثير ممن يحبون اللهو والتسلية مثل الإله "ديونيس". وكانت الأسطورة تصورها كمخلوقات في معظم الأحيان صلعاء، أو لها آذان تنبثق من الصدغين ودائما في حالة مرح، وفي حالة سكر. وكان الإغريق يزينون بيوتهم بالرسوم الهزلية لآلهتهم وكذلك يصورون آلهة أعدائهم بشكل ساخر ومتهكم، وغالبا ما تحتل هذه الرسوم الجدران الخارجية، وبوابات المنازل، وكان عند الإغريق رسامون اشتهروا بمزاولةهم لهذا النوع من

الرسم، ومنهم "بوزون"⁽¹⁰⁾. الذي ذكره أرسطو في أكثر من مؤلف له، وكان أرسطو يسمي الفن الذي يعتمد المبالغة بالفن (البشع). وفي أحد أعماله حول الفن يعتبر الفن كنوع من أنواع النشاط البشري وينصح بالابتعاد عن الحرفة وهو يرى أن الطريق إلى الحقيقة في الملحمة الشعرية هو في تقريبها من الفن التشكيلي، وبما أنه كان يقسم الفن إلى فن جيد وفن سيء، وكان يعتبر «بوزون» ممثلاً للفن السيء لأنه يصور أشخاصاً سيئين. فقد كان ينصح عند القيام بعمل فني، من رسم ونحت بأن لا يحذو الرسام حذو «بوزون» ويتمثل به بل أن يحذو حذو «بوليغوت»⁽¹¹⁾. وهو فنان آخر في نفس ذلك العصر كان حسب أرسطو يمثل الفن الجيد. وليس غريباً أن ينظر أرسطو هذه النظرة إلى الرسم الساخر الذي يستخدم المبالغة والتشويه ويسميه بالفن البشع، فالكثير من الباحثين يرون أن ظهور السخرية والمبالغة في فن حضارة ما، كان علامة ببدء انحطاط هذه الحضارة. وربما ذلك يعود إلى أن تطور الفن في ذلك الوقت، كان يتجه نحو الكمال من الناحية التشريحية. ولذلك فإن أي خروج عن هذا الاتجاه كان يعد انحطاطاً، وكان يوسم بالسيء، وأي خرق تشريحي، كان بالضرورة ابتعاداً عن الجمال، وبالتالي يوصف بالبشع.

ورغم تأثير الحضارة الرومانية الكبير بالحضارة الإغريقية إلا أن هذه الحضارة خلت من ظاهرة السخرية والمبالغة في فنونها، ولكن هذا لم يمنع من وجود هذه الظاهرة في الكثير من الحضارات الأخرى التي مهدت لظهور الحضارة الرومانية، ومن هذه الحضارات يجدر التنويه إلى الحضارة «الأتروسية»⁽¹²⁾ التي سادت في الجزء الشمالي الغربي من شبه الجزيرة الإيطالية. ففي الرسوم العائدة إلى هذه الحضارة يمكن العثور على تأثير الحضارة اليونانية في مجال المبالغة الذي يستمد موضوعه من الأسطورة اليونانية مباشرة. ومن هذه الآثار سبق وأشرنا في مكان سابق إلى رأس «الميدوزا»، التي كان «الأتروسيون»

يصورونها تماما كما وصفت في الأسطورة الإغريقية. والمبالغة الساخرة في الحضارة «الأتروسية» يمكن كذلك العثور عليها في الرسوم التي تزين الأواني والمرايا والحلي وغيرها من الأدوات ذات الاستخدام المنزلي. وكانت هذه الرسوم ذات مواضيع مختلفة فعلى إحدى هذه الأواني مثلا يمكننا مشاهدة رسم يصور صراع قبيلة الأقزام الأفارقة مع طيور الغرائيق، وهو مرسوم على آنية زهور، مصنوعة بالطريقة اليونانية وكان «الأتروسيون» يلجأون إلى تشويه معالم الأفارقة، ويبالغون في تشويه ملامحهم، فيسموهم كأقزام ومسوخ، قصار القامة ثقيلي الحركة، بشكل يبعث على الضحك (الشكل 26).



الشكل (23)

نحت من الحضارة اليونانية، يمجّد الإله «ديونيس».



الشكل (24)
نحت من الحضارة اليونانية،
يصور الإله «بلوتن».



الشكل (26)
رسم على آنية فخارية يصور صراع الأقزام
الأفارقة ، وطيور الغرنق. القرن الرابع ق م.



الشكل (25)
نحت يوناني يصور الإله «برياب».

وكان الفنانون " الأتروسيون " الذين يزاولون هذه المهنة يلجأون إلى السخرية، والفكاهة في هذه الرسوم لتخفيف القسوة والثقل الذي تبعثه في النفس رسوم أخرى منفذة على نفس تلك الأواني وكانت تلك الرسوم المذكورة تصور المعارك والحروب بين "الأتروسيين" وجيرانهم، أو تصور لقطات تراجيدية من الأسطورة. وتعود فترة صناعة هذه الأواني إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد. وقد لاقت صناعة الأواني الفخارية في تلك الفترة رواجاً كبيراً في الحضارة "الأتروسية" فكانت تصنع الأبريق الفخارية على شكل رؤوس بشرية ضاحكة، وكان يشغل كل جهة من جانبي الإبريق وجه بشري، ومن هذه الأواني نورد مثلاً لإبريق تعود فترة صناعته إلى الألف الثالث ق.م (الشكل 27). فعلى الوجه الأول يمكننا مشاهدة وجه بشري ذي ملامح غاضبة مفتوح الفم وقد أغمض عيناً وفتح الأخرى، وعلى الوجه الثاني صورة شخص يتسم ابتسامة خبيثة وينظر كذلك نظرة خبيثة، عيناه مفتوحتان بشكل واسع وحاجباه محدبان للأعلى على شكل قوسين متصلين، وقد كانت ظاهرة التوازن بين الكوميديا والتراجيديا في الحضارة " الأتروسية " شائعة على ما يبدو. فكما رأينا فإنه في الرسوم التي ذكرناها على الأواني المنزلية، والتي تصور صراع الأفرقة الأقزام مع طيور الغرائيق، مقابل الرسوم ذات الطابع التراجيدي فإنه على الإبريق يتكرر الأمر نفسه، والأشكال المرسومة على الأواني، والأشكال المرسومة على الأبريق كان الهدف منها الحصول على تجارب كوميدي إي إثارة الضحك. وإضافة إلى صناعة الأواني المنزلية، كانت كذلك الأمر صناعة الأقمعة تصور العفاريت المذكورة في الأسطورة، وكانت تعلق على جدران المدافن، وهذه الصناعة كانت رائجة بشكل أساسي في القرن الثاني ق.م. وفي الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والثالث ق.م راجت كذلك صناعة المرايا البرونزية والتي كانت تزين بالرسوم على الجهة الخلفية للمرأة وعلى إحدى هذه المرايا، التي يعود تاريخ صنعها إلى القرن الثالث ق.م (الشكل 28)، يمكننا مشاهدة

رسم يصور محاكمة «باريس»⁽¹³⁾ وحولته «أفروديت» و«أثينا»⁽¹⁴⁾ و«غيرا»⁽¹⁵⁾ وقد صُورن بشكل كاريكاتيري. واستخدمت المبالغة في الحضارة «الأتروسية» بشكل واسع في كل المجالات. فالمعماريون «الأتروسيون» كانوا يزينون الأعمدة وزوايا الأسطح، بتمثيل لرأس «الميدوزا» (الشكل 11)، وغيرها من الرسوم التي ترمز إلى أشياء مختلفة.



الشكل (27)

أواني ذات وجهين، تعود للحضارة الأتروسية، من القرن 3 ق م.



الشكل (28)

رسم على الوجه الخلفي
من مرآة برونزية يصور
محاكمة «باريس» الحضارة
الأتروسية، القرن 3 ق م.

وفي الفن الهيليني كان هناك اتجاهان الأول تقليدي تابع فن «براكسيتيل» (من القرن الرابع قبل الميلاد)، الذي تجلّى بتصوير الآلهة بشكل مثالي، أما الاتجاه الثاني، فقد تابع تقاليد "لسيب" (من القرن الرابع قبل الميلاد أيضا)، والذي كان يرصد الحركة والانفعال في تصوير الإنسان والذي قام بتصغير النسب في تنفيذ الرأس وطول اليدين والرجلين وقام بتصوير الحالات النفسية المختلفة للبشر. فقام هؤلاء الفنانون بتصوير العجائز وأشخاص ذوي عاهات مثل الأحدب (الشكل 29)، والقزمية الراقصة (الشكل 30)، وهما من حضارة الإسكندرية التابعة للعهد الهليني.



الشكل (30)

«القزمية الراقصة» منحوتة من المهدية،

تعود الى القرن 2 ق م.



الشكل (29)

«الأحدب» منحوتة من الاسكندرية،

تعود الى 100 ق م تقريبا.

ويمكن القول إنه في الإسكندرية أصاب الفن الواقعي في القرن الرابع قبل الميلاد تطوره اللاحق في الكاريكاتير ففي الإسكندرية بالذات تم تنفيذ ما سمي آنذاك بـ (مناظر النيل)، حيث على خلفية شواطئ النيل تم رسم مشاهد كوميدية كانت في أغلبها تصور قبائل الأقزام الأفريقية (الشكل 31). وفيما بعد أصبح هذا الموضوع الكوميدي مشهورا في الفن الجداري الفسيفسائي الروماني. وقد اشتهر فنان يدعى «بيريك» برسومه الهزلية، والرسام «بيريك» عمل أغلب الظن في الإسكندرية، علما أن أصله مجهول، وقد قام هذا الرسام بتصوير محلات الخدائين والحلاقين، والحمير المحملة، ونتيجة لموضوعات رسومه فقد حصل في عصره على لقب (رسام المزابل)، ولكن هذا النوع من الرسم رغم ذلك لقي نجاحا لاحقا، ليس فقط في الفن الهليني وإنما في الفن الروماني أيضا.



الشكل (31)

«البيغميون» (الأقزام الأفارقة)،

وحوانات النيل،

القرن 2-3 ق م

وفي الحضارة الهندية كذلك يمكن العثور على الرسوم المستمدة من الأسطورة الهندية، والتي تحتوي على المواضيع الساخرة، وخاصة في الآثار التي تسمى (فيدى)⁽¹⁶⁾ و(ريغفيدي)⁽¹⁷⁾ فعلى إحدى الأعمدة التي تتشكل منها هذه الآثار يوجد رسم يمثل الإله «أندورو»⁽¹⁸⁾ وهو في حالة من السكر الشديد، بعد أن تناول فوق حاجته من شراب «السومي» الذي يقدم في الأضاحي، وفي رسم آخر نرى الصيدلي «براهما» وأحد مرضاه، وتعود هذه الرسوم إلى القرن العاشر ق.م.

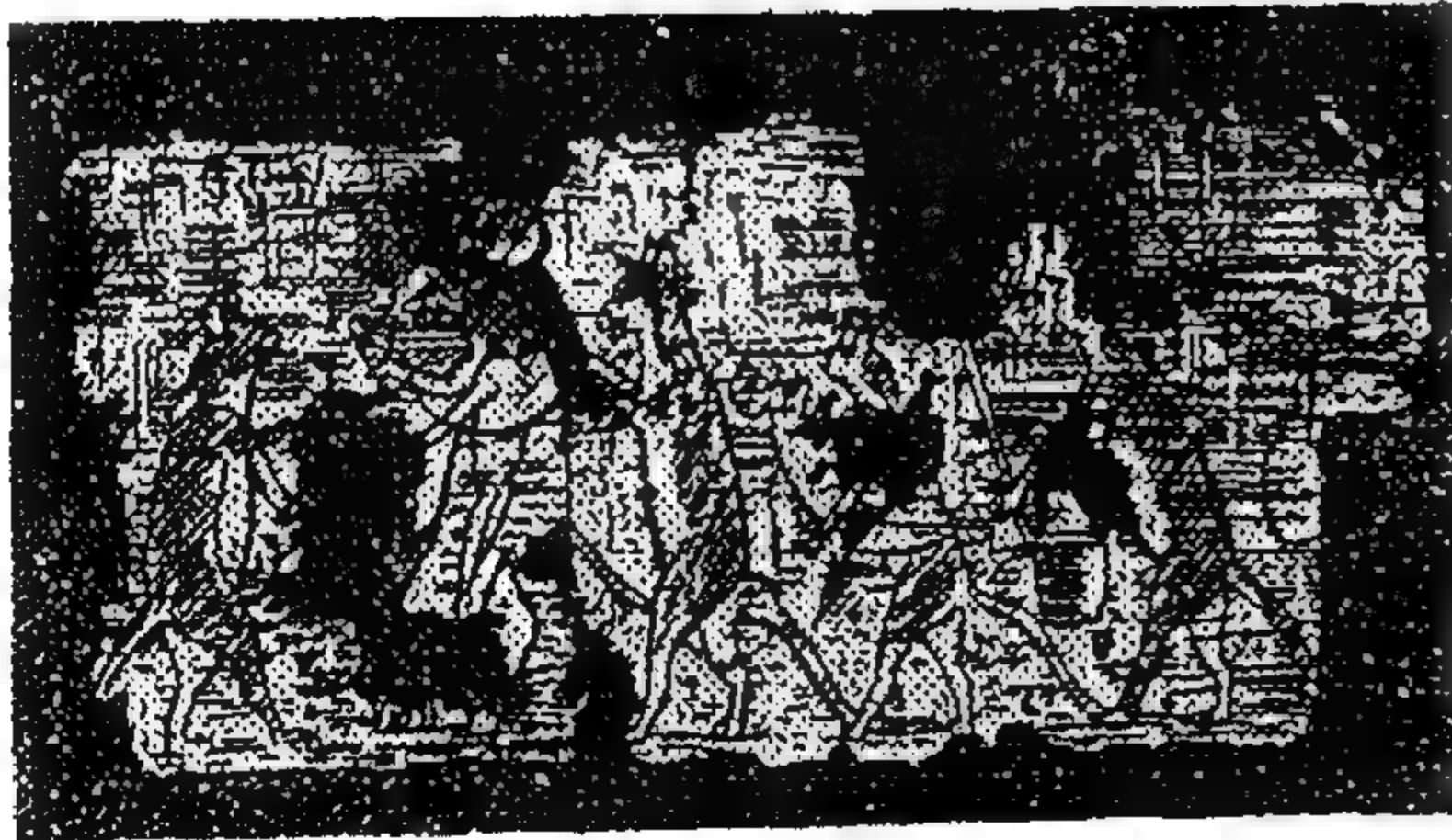
ولعل الحضارة المصرية هي الحضارة الأغنى والأكثر تطوراً في مجال الرسم الساخر إذ أنها تمتاز عن باقي الحضارات بأن الرسوم التي تعود لها تستمد مواضيعها من الحياة وليس من الأسطورة وتضفي عليها طابعاً فلسفياً، فلا تكتفي فقط بالفكاهة، وإنما ترمز إلى أمور أخرى. ورغم تفوق الحضارة الإغريقية بعدد الرسوم والمنحوتات إلا أن الرسوم العائدة لها لا تصل إلى عمق ومستوى الرسوم المصرية من وجهة نظر السخرية، ومن يدري فقد تكون الحضارة المصرية قد تفوقت حتى في العدد وقد تكون قلة الرسوم عائدة إلى أن المصريين كانوا ينفذون رسومهم على ورق البردي فكانت أكثر قابلية للنقل، وكذلك للتلف ولهذا فهناك احتمال كبير بأن ما بقي من هذه الرسوم حتى عصرنا الحالي يشكل نسبة قليلة إلى العدد الأصلي لهذه الرسوم بخلاف الرسوم اليونانية التي كانت تنفذ على الحجر وعلى أجسام صلبة أخرى وبذلك حافظت على نفسها حتى عصرنا الحاضر.

ومن بين هذه الرسوم، يمكننا الإشارة إلى رسم يصور قطاً برياً يرعى الأوز، ويعود إلى فترة الدولة الحديثة أي إلى حوالي القرن الخامس ق.م (الشكل 32). والذي يمكن تفسيره بأشكال مختلفة ويبقى المعنى كما يقولون (بقلب الشاعر)، وكذلك إلى رسم يصور القطط تقوم بخدمة الفئران (الشكل 33)، حيث رتل من

أربع قطط أولها يحمل قدحا وآخرها يحمل آنية زجاجية تحتوي على الخمر، يقدمونها إلى فأر يقف في مواجهتهم، ومثل هذا الرسم يمكن كذلك أن يحمل معاني مختلفة، مثل أن الفأر غني والقطط تتزلف له، وربما الفأر يجد ذاته هو خادم لمخلوق ذي سطوة. ولذلك تقوم القطط بخدمته عن طيبة خاطر لأنهما تخاف سيده وكما يقول المثل: (كلب الأمير أمير) ويمكن إسقاط معاني كثيرة على هذا الرسم، وربما بكل بساطة لم يقصد الرسام شيئا محددًا على الإطلاق غير إثارة الضحك، لمفارقة غير واقعية

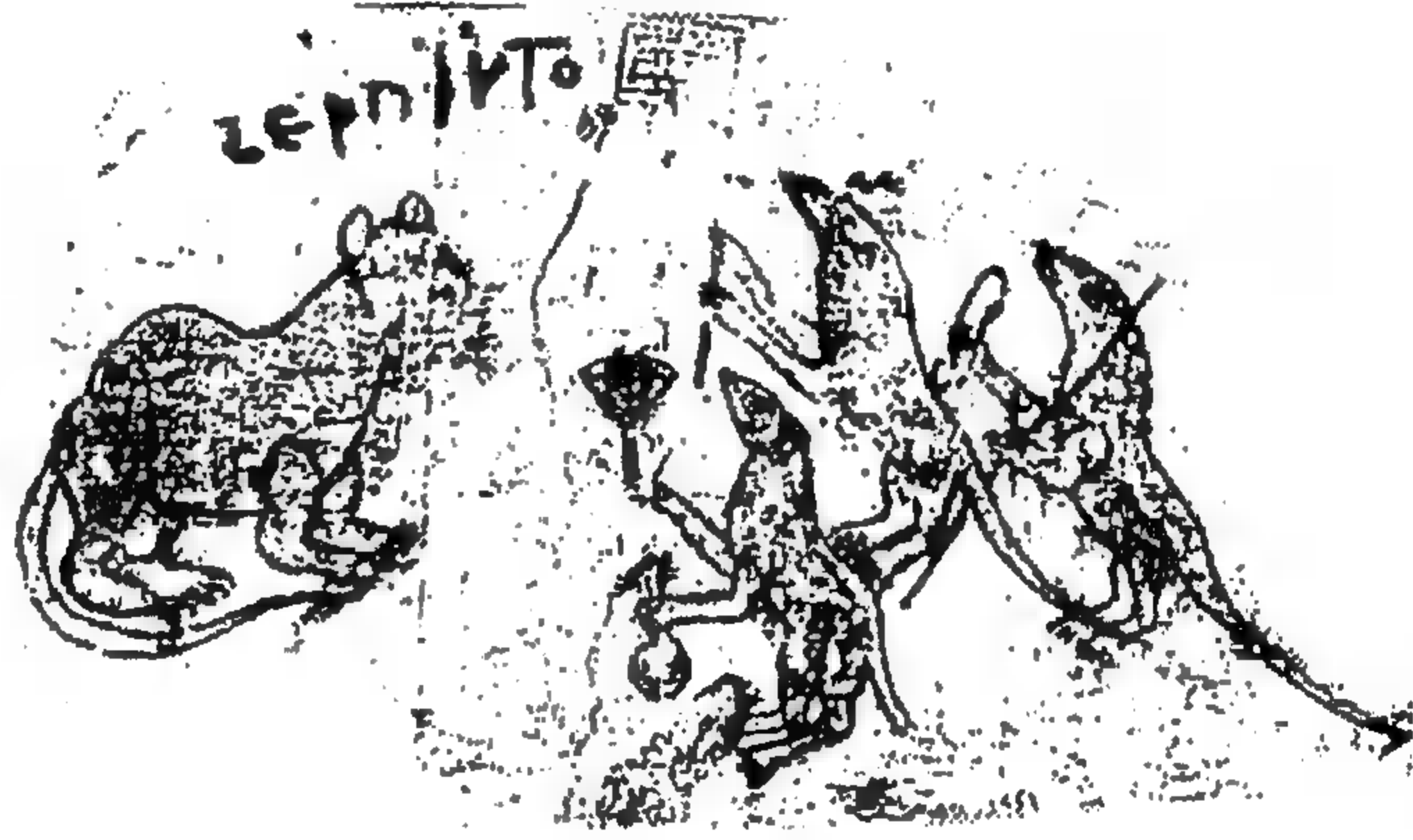


الشكل (32)
من الرسوم الساخرة في الحضارة
المصرية القديمة.



الشكل (33)
من الرسوم الساخرة في الحضارة
المصرية القديمة
(القطط تقوم بخدمة الفأر).

وفي رسم من القرن الثالث ق.م، نرى مضمونا معاكسا، ولكنه طريف أيضا يصور ثلاثة فئران، تقف بوجل أمام قط (الشكل 34) يحمل أحدها إناء في اليد اليسرى وفي اليد اليمنى يحمل قدحا أو قمعا، وهذا الرسم أيضا يمكن تحميله الكثير من المعاني، فربما يرمز إلى أن الفئران تقدم الطاعة للقط وربما يرمز إلى عملية جباية الضرائب من قبل الدولة وربما ببساطة أراد الرسام أن يبين كيف تزول العدوات وتتقارب القلوب من بعضها بعضا حول إناء الخمر وأراد الإضحاك فقط.

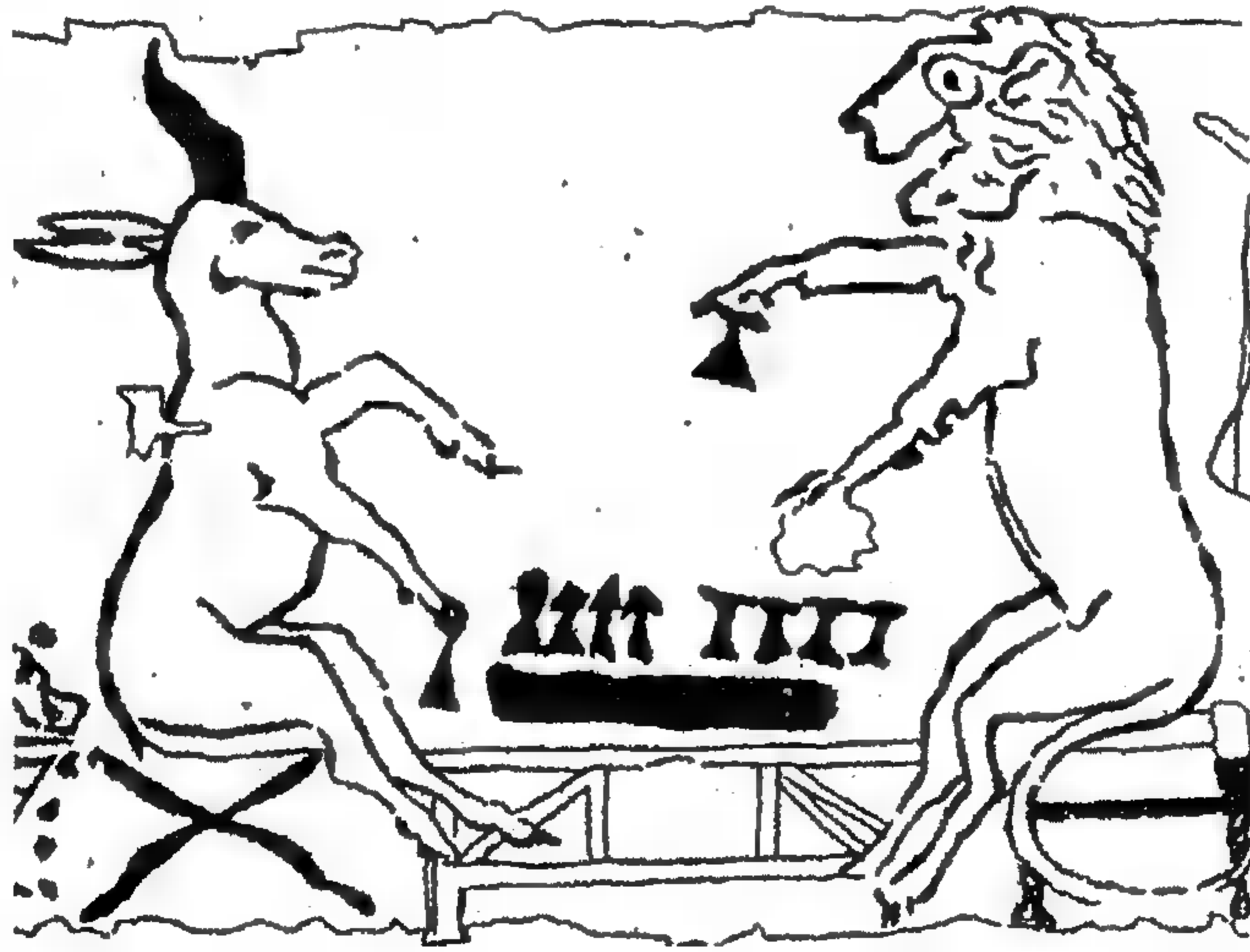


الشكل (34)

من الرسوم الساخرة في الحضارة المصرية القديمة.

وفي متحف «تورنتو» في إيطاليا رسم يصور أسدا وتيسا يلعبان لعبة تشبه الشطرنج (الشكل 35) وهذا الرسم أيضا يمكن أن يفهم بأشكال مختلفة أحدها المودة ونسيان الأسد لحم التيس اللذيذ، ويمكن أن يكون الأسد في هذا الرسم يرمز بشكل مباشر إلى الفرعون، والتيس إلى الرعية ويلعب الفرعون مع الرعية للدلالة على تقربه من الرعية، ويمكن أن يرمز التيس إلى الناس الذين يحشرون أنوفهم في قضايا لا تخصهم فيقعون في ورطات ليس لهم القدرة على الخروج منها، فالتيس كما هو معروف ينتمي إلى فصيلة الحيوانات الفضولية ومن هنا يمكن أن يكون الرسام قد انتقى التيس بالذات ويمكن أن يكون قد انتقاه لأنه

كذلك من أئند الءواناء. والرءام ىرمز إلى أولئك الءىن لا ىفكرون بعقولهم ولا ىءسبون ءساباً للءطواءاء الاءى ىقدمون علفها؁ فهذا الاءىس لو انءصر فى لءبة الشطرنء هذه لسلء ءلده ولءلك فهو مضطر للءءساره ءءى ولو كان قاءراً على الفوز؁ وىمكن أن ىرمز الرءم إلى عءم ءكافؤ القوى فى صراع مءءء نءهله نءن أو نءهل علاقاءه بالرءم وىمكن أن ىكون هءفه الفكاهة فقط ولكن فى كل الأحوال فإن عناصر الرءم ءءل على وءع الاءىس الءى لا ىءسء علفه؁ وعلى ءالة الءوف الاءى ءسىطر علفه؁ وعلى العكس من ذلك ءبىن ءالة القوة والءقة بالنفس لءى الأسد؁ فالأسء ىءمل قءعته ىىءه فوق الرقعة بىنما الاءىس ىءه ءء الرقعة؁ الأسد ىءكلم؁ والاءىس صامء وباءءصار فإن الأسد فى ءالة هءوم والاءىس فى ءالة اسءسلام. ولو ان الأمر على العكس من ذلك لكان من الممكن أن نفهم أن الرءام أراد أن ىقول: (ما كل قوى ذكى).



الشكل (35) من الرسوم الساخرة فى الءضارة المءرىة القءىمة.

وفي رسم آخر يعود إلى الفترة القبطية نرى ثعلباً يركب تيساً (الشكل 36)، وربما يفهم من هذا الرسم أيضاً معاني كثيرة منها أن التيس يرمز إلى الغباء، وسرعة الانقياد، حيث أن الرسم يحتوي أيضاً على بوابة منزل يبدو أن الثعلب خرج على ظهر التيس منها. وكذلك يمكن الإشارة إلى رسم يعود للقرن الثالث ق.م ويصور طائراً يصعد شجرة بواسطة سلم نصب عليها، وفرس النهر يقف على أغصان هذه الشجرة، والتي يمكن أن يفهم منها الرمز إلى الناس الذين لا يستخدمون قدراتهم، مثل ذلك الطائر الذي لا يعرف أنه من الأسهل الطيران له، وإلى الناس الذين لا يعرفون أماكنهم مثل فرس النهر، الذي يجلس فوق الشجرة ومعان أخرى مختلفة. (الشكل 37). وفي رسم آخر نرى فرقة موسيقية مؤلفة من حمار وأسد وتمساح وقرد، يعزفون على آلات موسيقية مختلفة، ربما يحمل معاني خاصة وربما كان هدف الرسام السخرية من عازفين محددين. (الشكل 38)، ويذكر أنه في متحف الكاريكاتير في لندن يوجد رسم كاريكاتيري مصري يعود للقرن الثالث قبل الميلاد، يصور الفساد الأخلاقي الذي يسود البلاط، ويسخر من الفرعون. ومن الجدير بالذكر أن الأسطورة المصرية القديمة احتوت فيما احتوت على إله للفكاهة وقد عثر على نحت جداري يصوره في أحد المعابد (الشكل 39). ويمكن أن تكون الرسوم المذكورة جميعها مرتبطة بالقصص الشعبية التي كانت سائدة آنذاك ويمكن أن يكون بعضها مثل الرسم الذي يصور الفرقة الموسيقية قد استمد رموزه من الأسطورة المصرية. وهذا أمر لا يؤكد أو ينفيه إلا متخصص بالآثار والتاريخ القديم، ولا يدخل في مجال الحديث هنا.

وفي الآثار العائدة للحثيين أيضاً يمكن العثور على بعض الآثار التي تحتوي على عنصر المبالغة ففي متحف برلين الحكومي منحوتة حشية تصور امرأة عارية الصدر ذات خصر نحيف للغاية وساقين بالغتي الطول وعينين غائرتين وشففتين ممطوطتين، وفي المتحف البريطاني منحوتات من الذهب لرجل يحمل على ظهره

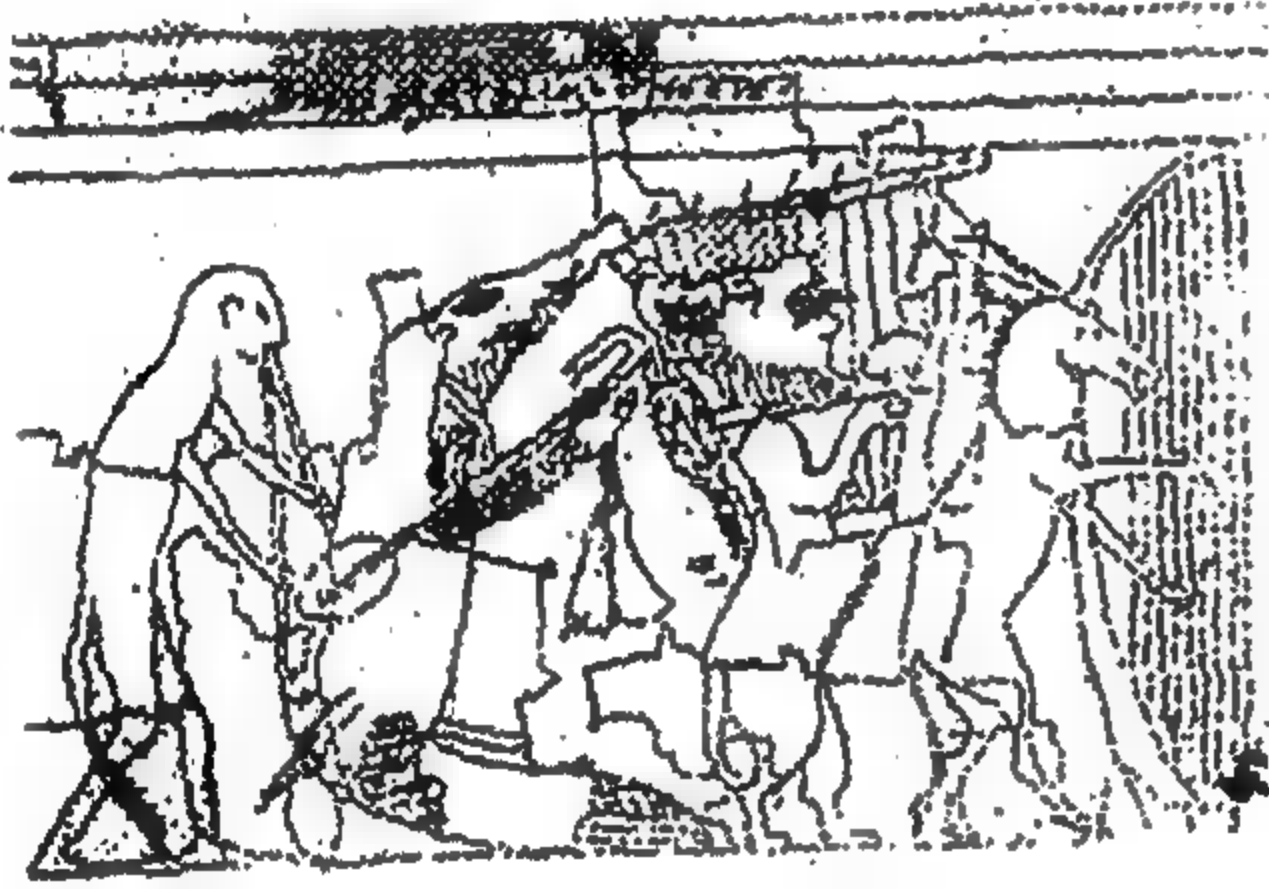
جملأً ثقيلأً وله وجه ذو تقاطيع كاريكاتيرية ومنحوتات كثيرة أخرى مشابهاة ولكنها وإن احتوت على المبالغة فإن السخرية المباشرة تنقصها.



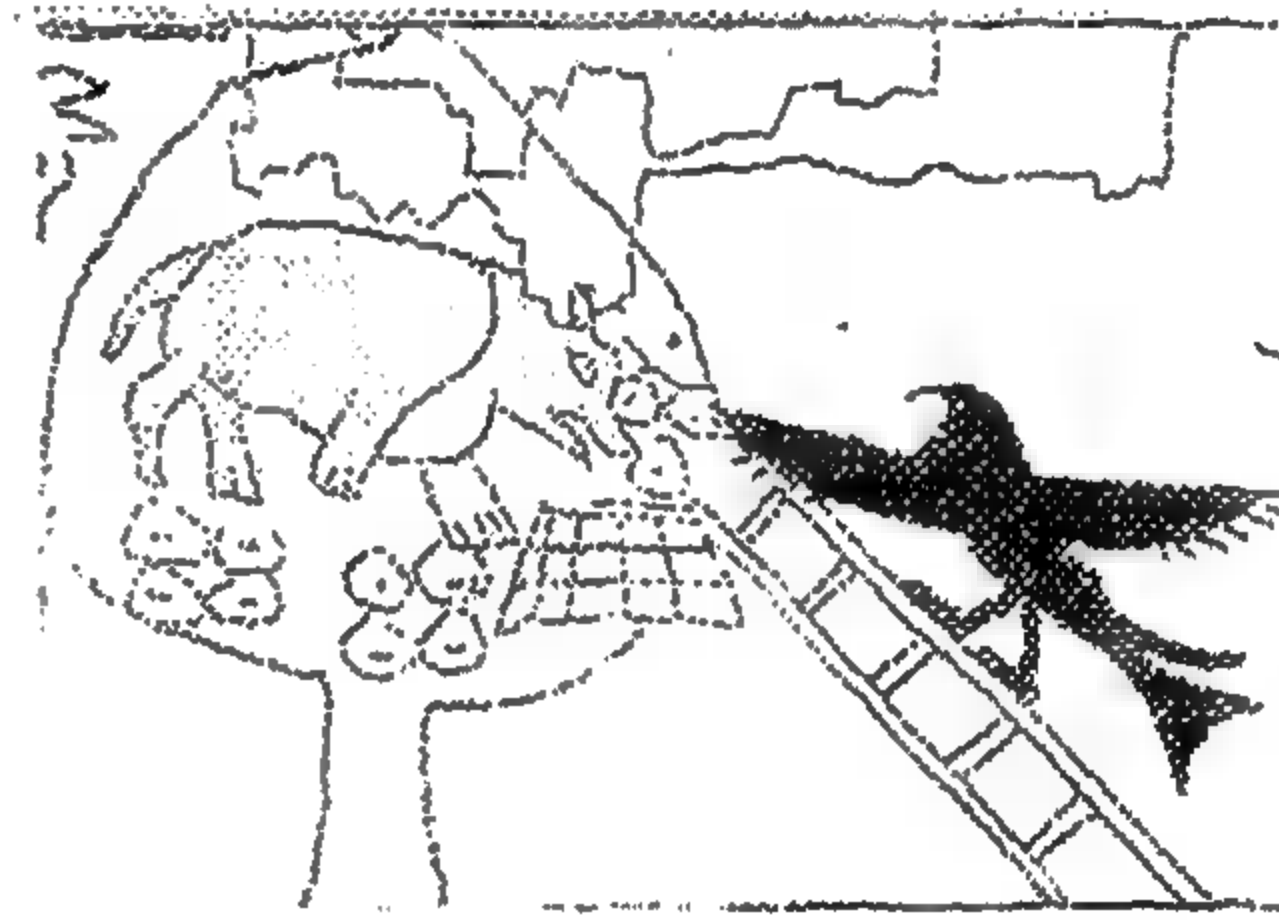
الشكل (36) من الرسوم الساخرة في الحضارة المصرية القديمة.

ويمكن العثور على المبالغة الساخرة في الآثار الآشورية أيضاً، ففي عام 1846م تم اكتشاف مسلة مربعة الأضلاع من المرمر في قلعة النمرود يبلغ ارتفاعها مترين وقد نقش عليها الكثير من الرسوم، وعلى إحدى جهات المسلة نحت يصور ملك اليهود المهزوم إيهو (أو يهو) أو شخصاً يمثلُه ساجداً أمام الملك الآشوري "سلمنصر" يقبل الأرض عند قدميه، وفي هذا الرسم قام النحات الآشوري بإعطاء وجه الملك اليهودي ملامح "كاريكاتيرية" فالرقبة طويلة منحنية، والأنف معقوف، والقبة مردودة إلى الخلف، ولباسه رث ولا يشبه لباس الملوك ويعود تاريخ الرسم إلى حوالي منتصف القرن التاسع ق.م (الشكل 40)، وفي منحوتة آشورية أخرى رسم يمثل صراع الآشوريين مع أعدائهم، فيصور محارباً آشورياً

جَمِلاً قَوِيّاً، مَتَنَاسِقَ الجَسَدِ، يَحْمِلُ بِيَدِهِ رَمْحاً يُوْشِكُ أَنْ يَطْعَنَ بِهِ مَلِكَ الأَعْدَاءِ المَهْزُومِ، أَمَّا المَلِكُ المَغْلُوبُ فَتَرَاهُ رَاكِعاً عَلَى قَدَمِيهِ. يَدَاهُ مَرْفُوعَتَانِ بِالرَّجَاءِ، وَأَنْفُهُ مَتَّصِلٌ بِجَبْهَتِهِ شَفَتَاهُ مَمْطُوطَتَانِ إِلَى الأَمَامِ وَقَمِهِ يَشْبَهُ أَفْوَاهِ القَرْدَةِ، وَخَلْفَهُ إِثْنَانِ مِنْ أَتْبَاعِهِ يَتَوَسَّلَانِ وَلَهُمَا مَلَامِحُ مُشَابِهَةٌ، وَبَعْضُ النِّظَرِ عَنْ تَغْيِيبِ المَضْمُونِ الكُومِيْدِيِّ سِوَاءٍ فِي الرِّسْمِ الأَوَّلِ أَوْ فِي الرِّسْمِ الثَّانِي إِلَّا أَنَّ الفَنَانَ الآشُورِيِّ تَقَصَّدَ المِبَالِغَةَ فِي رِسْمِ مَلَامِحِ الأَعْدَاءِ فِي هَذَيْنِ الرِّسْمَيْنِ وَفِي رِسُومٍ كَثِيرَةٍ أُخْرَى، لِهَدَفٍ أَسَاسِيٍّ هُوَ السَّخَرِيَّةُ مِنَ الأَعْدَاءِ وَالتَّخْفِيلُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَلِذَلِكَ فَقَدْ صَوَّرَهُمْ بِأَشْكَالٍ مَثِيرَةٍ لِلضَّحْكِ.



الشكل (38)



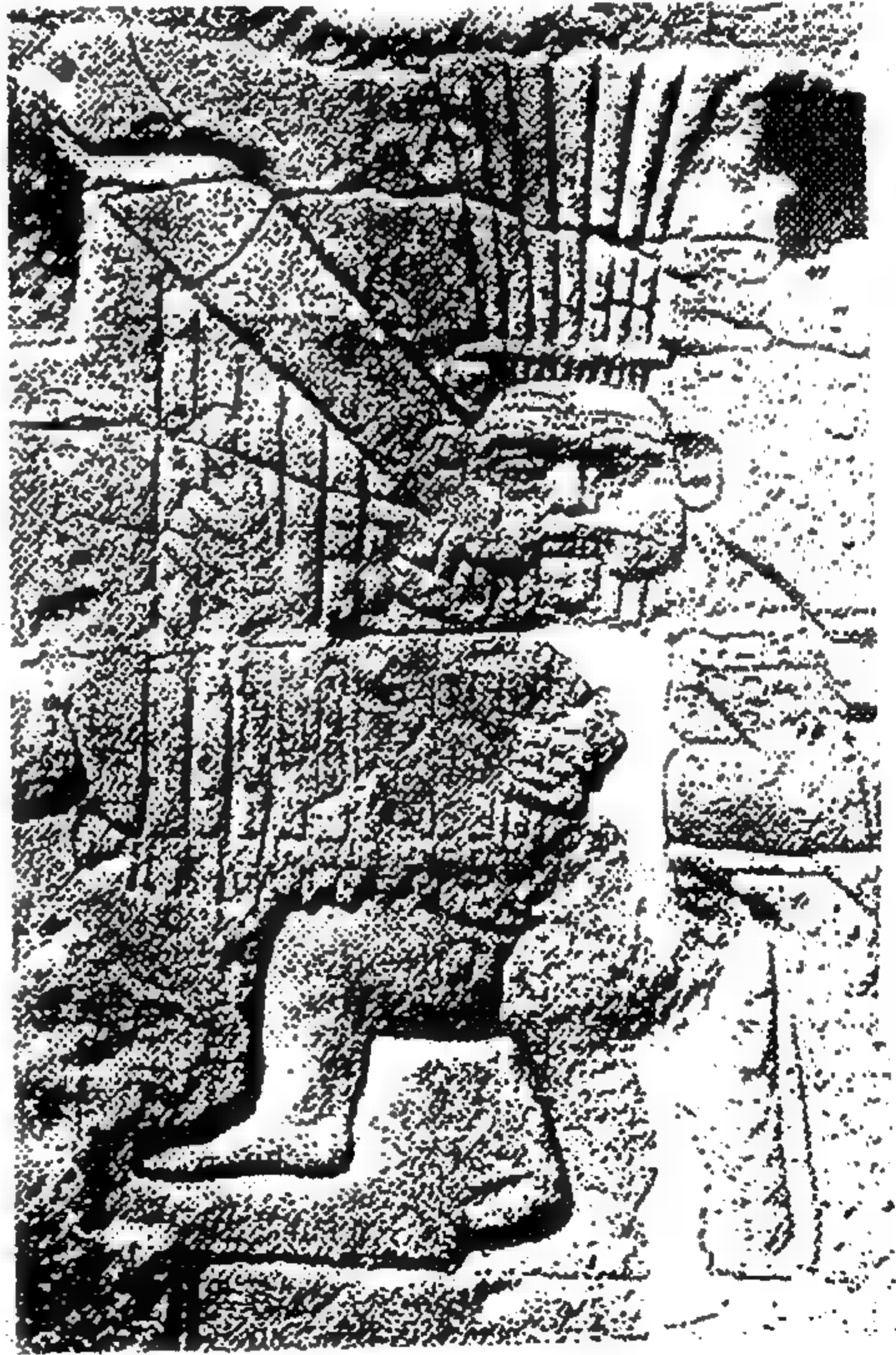
الشكل (37)

من الرسوم الساخرة في الحضارة المصرية القديمة.

وَفِي الآثَارِ العَائِدَةِ إِلَى الحضارة البيزنطية يُمْكِنُ العُثُورُ عَلَى الكَثِيرِ مِنَ الرِّسُومِ وَبِخَاصَّةِ المُنَمَّمَاتِ وَالتِّي تَحْتَوِي عَلَى عُنَاوِرِ المِبَالِغَةِ وَالسَّخَرِيَّةِ، وَمِنْهَا الرِّسْمُ المَوْجُودُ فِي المَتَحَفِ الحُكُومِيِّ الرُّوسِيِّ فِي مِوسْكُو وَالتِّي يَصُورُ شَخْصَيْنِ، يَقُومَانِ بِحَرَكَاتٍ مُضْحِكَةٍ لُهُمَا أَنْفَانِ طَوِيلَانِ وَذَقْنَانِ مُنْحَنِيَتَانِ لِلأَعْلَى يَتَمَلَّقَانِ أَحَدَآ. وَلِذَلِكَ سَمِيَ الرِّسْمُ بِالسَّخَرَةِ (مَتَمَلِّقِينَ).

وَفِي آثَارِ الهِنْدِ الصِّينِيَّةِ كَذَلِكَ يُمْكِنُ العُثُورُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الرِّسُومِ وَالمُنَحْوَاتِ وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ المُنَحْوَاتِ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ نَحْتُ جِدَارِيٍّ يَعُودُ إِلَى القَرْنِ التَّاسِعِ فِي أَحَدِ المَعَابِدِ فِي كَمْبُودِيَا يَصُورُ صِرَاعَ الدِّيَكَةِ (الشَّكْلُ 41).

وملامح وجوه المتفرجين في هذا الرسم تحتوي على الكثير من المبالغة، وحركايم المتابعة للصراع تبعث على الضحك فرقايمهم ممطوطة إلى الأمام وشفاههم متدلية، ومضمون اللوحة قد يكون كوميدياً وقد يكون له دافع ديني. إن المبالغة والخروج على المعايير التشرييكية في الرسم وكذلك السخرية كانت موجودة ربما في كل الحضارات القديمة بدون استثناء. ولكنها كانت مكثفة هنا وقليلة هناك، تبعاً لسعة وتطور هذه الحضارة أو تلك في مجال الفنون التشكيلية، وذلك لأن المواضيع التي كانت صالحة كمادة للسخرية والمبالغة كانت كثيرة ولا يمكن حصرها من ملك الأعداء وآلهتهم، إلى الزوجة والحماة ولذلك فإن عملية حصرها أو التطرق إليها بشكل مفصل أمر صعب للغاية ونكتفي بهذه الأمثلة التي تفي بالغرض.



الشكل (39)

نحت جداري يصور اله الفكاهة عند

المصريين القدماء .



الشكل (40)

نحت على مسلة في قلعة النمرود يصور سجد
الملك اليهودي للملك الآشوري .



الشكل (41)

نحت جداري من كمبوديا يصور صراع الديكة .

وإن كانت مواضيع المبالغة في الفنون القديمة قد استمدت بشكل أساسي من الأسطورة والحياة العامة للشعوب القديمة فقد جاء المسرح الساخر والأدب لكي يعطي دفعة جديدة لتطور الفن التشكيلي الساخر ويمكن القول بشكل قاطع إن الأدب الساخر هو الرحم القانوني للتشكيل الساخر وهذا الكلام ينطبق كذلك على معظم الرسوم التي ذكرناها سابقاً، وبخاصة منها ما هو مستمد من الأسطورة، حيث أن الأسطورة أصلاً، وجدت أدبياً قبل أن توجد تشكيمياً، إلا أننا مع ذلك سوف نتطرق إلى التأثير الذي تركه الأدب الخالص، إن صح التعبير، على إيجاد الأساس الأول للفن التشكيلي الساخر، والقناع باعتقادنا هو أولى مظاهر تأثير الأدب على انتقال السخرية إلى التشكيل، فظاهرة المهرج على سبيل المثال هي من أقدم الظواهر الفنية في التاريخ، حيث أن قصور الأمراء والملوك كانت دائماً لا تخلو من المهرجين. وقد ارتبط اسم المهرج باسم الملك فلا نجد ملكاً ليس لديه مهرج أو أكثر وكان المهرج واحداً من الموجودات الضرورية في القصر وعدا عن القصور فقد كانت ظاهرة المهرج منتشرة في الأسواق والمهرجانات الشعبية والرسمية، والتهريج هو أحد الأشكال الأولى لفن المسرح، وقد كان المهرج يلجأ إلى إثارة الضحك، بالحركات التي يقوم بها، ثم مع مرور الزمن طور فنه وأخذ يستخدم الكلمات لإعطائه فاعلية أكثر، وبعد ذلك أخذ يدخل إضافات أخرى على لباسه وعلى ملامح وجهه، فأخذ يستخدم الماكياج (غريم) والقطع التي تضخم معالم وجهه مثل الأنف والأذنين، ثم أخذ يستخدم القناع، وهكذا فقد كان صانعو الأقنعة يختلفون أنوفاً مبالغاً في طولها وآذاناً مبالغاً في حجمها وعيوناً جاحظة وأفواهاً غليظة الشفاه، وجباهاً مسطحة وما شابه من الأمور، ولذلك فقد أخذت المبالغة من أجل الإضحاك وليس من أجل طرد الشياطين، بالدخول إلى مجال التشكيل، وعدا عن ظاهرة المهرج فقد كان القناع منتشرأ بشكل واسع في المسرح، وذلك لأسباب كانت تملئها طبيعة العمل المسرحي في ذلك الوقت، إذ كان

على الممثل في المسرح الإغريقي، أن يلعب عدة أدوار على سبيل المثال ولكي لا يخرج إلى الخشبة بنفس الوجه في جميع هذه الأدوار فقد كان يرتدي أقنعة مختلفة ، والأدوار النسائية على سبيل المثال في المسرح الإغريقي كان يقوم بها ممثلون من الرجال، وكان على هؤلاء الممثلين تبديل أقنعتهم عند تبديل الأدوار، وأحياناً كان يتوجب عليهم تبديل الأقنعة في الدور الواحد وذلك لأن اتساع وكبر حجم المسرح الإغريقي، كان لا يسمع للمشاهد برؤية التغيرات التي تطرأ على وجه الممثل، وبدون ارتداء القناع الملائم كان لا يمكن للتبدلات في ملامح وجه الممثل أن تؤثر على المشاهد.

وفي الكوميديا الإغريقية الحديثة حافظ الممثلون على تقليد ارتداء الأقنعة وضاعفوا عدد هذه الأقنعة، فلأدوار المسنين كان يستخدم على الأقل تسعة أقنعة، ولأدوار العبيد سبعة أقنعة ولأدوار النساء أربعة أقنعة، وهكذا. وكان لكل فئة في المجتمع الأقنعة الخاصة بها في المسرح فللمواطن القناع الذي يميزه، وللعبد القناع الذي يميزه وكذلك للفلاح وللعاهرة وغيرهم من فئات المجتمع (الشكل 42).

وإضافة إلى ظاهرة القناع فقد عرف المسرح ظاهرة (الغريم) أو «المكياج» أيضاً ففي الأوبرا الصينية القديمة مثلاً كانت الأدوار السلبية تدعى بالوجوه المقنعة، وذلك لأن وجه الممثل في مثل هذه الأدوار كان يطلّى بالمعاجين المختلفة الألوان التي تؤلف رسماً يناسب الدور. وهذا التقليد ما زال مستمراً إلى الآن في المسرح «البكيني» التقليدي. وانتقلت ظاهرة الأقنعة إلى المسرح الحديث كذلك. ففي الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر اشتهر في إيطاليا ما سمي بـ (كوميديا الأقنعة) أو (كوميديا ديل أرتي) وكان معظم الممثلين في هذا النوع من المسرح يرتدون الأقنعة وفي عام 1680م قام مسرح (كوميديا الأقنعة) بجولة في أوروبا، مما أدى إلى انتشار هذه الظاهرة في

معظم الدول الأوروبية. وكان هذا المسرح يعتمد الموضوعات الكوميديّة، كما يتضح من التسمية ولذلك فقد كانت الأقنعة المستخدمة تحتوي في تركيبها على العناصر الكوميديّة، فيتم المبالغة في تصوير ملامح الوجه بصورة كاريكاتيرية (الشكل 43). وأخذت ظاهرة الأقنعة مع مرور الزمن تنتشر خارج إطار المسرح واكتسبت شعبية كبيرة في الأوساط العليا، في مختلف المجتمعات. فظهرت الحفلات التنكرية التي كان المشاركون فيها يرتدون الأقنعة لإخفاء ملامحهم الشخصية الأصلية. ومن بين هذه الأقنعة بالطبع كان القناع الكوميدي يحتل مكانة لا يستهان بها، وهذه الظاهرة اكتسبت شعبية لاحقة في الأوساط الفقيرة، فأخذت الأقنعة تستخدم في المهرجانات الشعبية الكبيرة مثل مهرجان «ريودي جانيرو» في البرازيل على سبيل المثال.

وإضافة إلى ظاهرة الأقنعة تطورت ظاهرة أخرى أكثر تقدماً من ظاهرة الأقنعة، وكان مصدرها الأدب كذلك حيث أخذت تظهر الرسوم التي ترافق العروض المسرحية. وكان كل عرض مسرحي يرافق بمعالجة تشكيلية جديدة في البداية، ثم أصبحت المعالجة الجديدة ترفق بمعالجة هزلية، ففي ما يسمى بجلسات القناصل الشعرية على سبيل المثال، كانت تُرسم إلى اليسار عادة مشاهد هزلية بأقنعة مضحكة، وإلى اليمين مشاهد مأساوية، ويستخدم «ديتريخ» الذي استخدم فن الرسم في «بومي» لحل مشكلة الأشكال الهزلية القديمة رسامين جداريين من هذه الرسوم على سبيل المثال: في أحد الرسامين صور «أندروميديا»⁽¹⁹⁾ و«بيرسيوس»⁽²⁰⁾ ينقذها، ومن الجهة المقابلة صورة امرأة عارية تستحم في بركة، وتلتف أفعى حولها والفلاحون يهرعون إلى نجدة وهم يحملون العصي والحجارة، وهذه اللوحة الثانية هي معالجة ساخرة واضحة للمشهد الأسطوري الأول^(*). وإضافة إلى الظاهرة المذكورة فقد تطورت ظاهرة أخرى هي تصوير أحداث العمل المسرحي أو الأدبي نفسه.

* ميخائيل حنين، الكلمة في الرواية، دمشق 1988، منشورات وزارة الثقافة ص 251 ترجمة يوسف حلاق.



شخصية العاهرة



شخصية المواطن



شخصية من الكوميديا اليونانية القديمة



شخصية الفلاح

الشكل (42)

ثلاثة اقنعة مسرحية تعود للكوميديا اليونانية الحديثة
ومنحوتة تصور شخصية من الكوميديا اليونانية القديمة .

وهناك رسوم منفذة بتقنية الفسيفساء تصور أعمال المسرحي الكوميدي اليوناني القديم «ميناندروس»⁽²¹⁾، إحدى هذه اللوحات تصور المشهد الثالث من كوميديا (الربابنة) (الشكل 44). ولوحة أخرى تصور المشهد الأول من كوميديا (نساء على الفطور) ونرى فيها بطلات المسرحية «فيليندا» و«بلانغو» و«يفادا». (الشكل 45)، ولوحة ثالثة تصور المشهد الثاني من كوميديا (القلادة) وفيها من أبطال المسرحية «موسخيون» و«لاخيت» و«كروبيلا» (الشكل 46). ولوحة رابعة تصور المشهد الثاني من كوميديا (المخبولة) وفيها من الأبطال «ليسي» و«بارمينون» و«كلينيا». (الشكل 47). وبالتأكيد فإن هذه اللوحات ليست اللوحات الوحيدة التي تصور مختلف المشاهد من مسرحيات «ميناندروس» الكوميدية، فلكل مشهد لوحة أو عدة لوحات تصوره في كل مسرحية. وظاهرة تصوير الكوميديا هي ظاهرة قديمة، في الثقافة الإغريقية ويمكننا العثور على رسوم تصور كوميديات مختلفة حتى بين تلك الرسوم المنفذة على الأواني والتي تحدثنا عنها أعلاه، ومن بين هذه الرسوم على سبيل المثال رسم على آنية يصور «زيوس»⁽²²⁾ و«هرمز» في كوميديا يونانية قديمة (الشكل 48).



الشكل (43)

نموذج لشخصية من مسرح (كوميديا الأقنعة).

وعلى الرغم من أن الأدبيات العالمية في معظمها تخلو من المعلومات الخاصة بالفن التشكيلي عند العرب أو تغيبه، فإن الحضارة العربية في فترة القرون الوسطى كانت أكثر الحضارات تقدماً في مجال الفن التشكيلي. ولو قُدِّر لها الحياة ولم تتعرض المنطقة العربية للحكم التركي، الذي أخرها مئات السنين، فربما قُدِّر لهذا الفن أن يتطور ويضاهي فنون النهضة الأوروبية. فقد كانت الرسوم تزين معظم المؤلفات الأدبية العربية، مثل ألف ليلة وليلة ومقامات الحريري وغيرها. وكان الخطاطون الذين يقومون بتخطيط هذه الأعمال هم أنفسهم الذين يزينون الأعمال الأدبية بالرسوم. ففي مقامات الحريري كان يحيى بن محمود الواسطي يزين معظم الصفحات بالرسوم (الشكل 49 - 50). ولم تتوقف الرسوم العربية على تصوير المؤلفات الأدبية بل كانت كذلك تصور مختلف نواحي الحياة الاجتماعية. فكانت تصور النشاطات الفنية كذلك الرسم الذي يصور «زرياب» يعزف لمجموعة من النسوة، ويعود للحضارة العربية في الأندلس في القرن الرابع عشر (الشكل 51). وكانت تصور حياة القصور كذلك الرسم الذي يصور استقبال النساء في «الحرملة» (الشكل 52). ويصور النشاطات الدينية والحياة الأسرية إلى درجة أن بعض الرسوم استمدت موضوعها من مخدع الزوجية فصورت الرجل مع زوجته، ونطقت إلى تفاصيل مثل ليلة الدخلة (الشكل 53). والكثير الكثير من الرسوم الأخرى، وباعتقادنا فإن الفن التشكيلي العربي مازال مادة غير معالجة جيداً، ولم يتطرق إليه الباحثون بشكل جدي. وهو موضوع بحاجة إلى معالجة وافية، وذلك لإظهاره للعالم وللحفاظ على هذا التراث القيم، ففي الوقت الذي يكاد التلميذ يعرف فيه كل أسماء الشعراء والأدباء العرب منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر فإنه نادراً ما نجد، وربما يستحيل العثور على تلميذ يعرف اسم رسام عربي واحد من نفس تلك المرحلة التي ينتمي إليها أولئك الشعراء أو الأدباء، رغم قلّة عدد أولئك الرسامين.



الشكل (44)
رسم منفذ بتقنية الفسيفساء،
ويصور المشهد الثالث من
كوميديا (الربانة)
لـ«ميناندروس».



الشكل (45)
رسم منفذ بتقنية
الفسيفساء، يصور المشهد الأول
من كوميديا (نساء على الفطور)
لـ«ميناندروس»، ويظهر فيه
ابطال المسرحية «فيلينيدا»
و«بلانغو» و«بيفيدا».



الشكل (46)

رسم بتقنية الفسيفساء،
يصور المشهد الثاني من
كوميديا (القلادة) لـ
«ميناندرس». يصور أبطال
المسرحية «موسخيون»
و«لاخيت» و«كروبيلا».



الشكل (47)

رسم منفذ بتقنية
الفسيفساء، يصور المشهد الثاني
من كوميديا (المخولة)
لـ «ميناندرس»، ويصور أبطال
المسرحية «ليسي» و«بيلامينون»
و«كلينيا».

وعلى العموم فإن الشعر العربي رغم الأداة التعبيرية الأدبية التي كان يستخدمها، فإنه لا يخلو من الكاريكاتير، ولا نقصد هنا الكوميديا، أو المضمون الساخر في القصيدة وإنما بالذات تلك الأشعار التي تصور المظهر الخارجي، لشخص محدد، بشكل كاريكاتيري مثل قصائد ابن الرومي التي تصور شكل الأحدب ومثيلاهما، ومن هذه القصائد يمكن الإشارة إلى الأبيات التالية من قصيدة لابن الرومي يصور فيها شخصا طويل الأنف فيقول:

إن كان أنفك هكذا فالفيل عندك أفطس
وإذا جلست على الطريق ق ولا أخالك تجلس
قل السلام عليكمما فتجيب أنت ويخرس

ففي هذه الأبيات يرافق المضمون الساخر وصفا للشكل الخارجي، يعتمد المبالغة وعند قراءة الأبيات فأول ما يقوم به القارئ، هو رسم صورة كاريكاتيرية في مخيلته لذلك الشخص الذي يعادل حجم أنفه حجم القسم الباقي من جسده، والذي لا يقارن حتى بخروطوم الفيل. إن مثل هذه الصور غير نادرة في الشعر العربي، ويمكن العثور عليها في الكثير من القصائد العربية، ومن بين الشعراء الذين يمكن الاستشهاد بهم الشاعر العربي الكبير أبو الطيب المتنبي، الذي يصف فتاة شابة كانت تتباهى بجماها إحدى القبائل، فيقول:

بانوا بخرعوبة لها كفلس يكاد عند القيام يقعدها

وتابع وصفه بأبيات أخرى لسنا بصدددها الآن ففي هذا البيت يصف المتنبي مؤخرة الفتاة (الخرعوبة) التي لها كفلس ضخمة لدرجة أنه يكاد يمنعها من الوقوف عندما تريد القيام، فتصوروا حجم تلك المؤخرة. ومثل هذه الأبيات التي تصور الشكل الخارجي المبالغ فيه للإنسان، يمكن العثور عليها في الكثير من أشعار

الهجاء عند الثلاثي الشهير «الفردق» و«الأخطل» و«جرير» وغيرهم من الشعراء العرب.



الشكل (48)

رسم على آنية «يصور «زيوس» و
«هرمز» في مشهد من الكوميديا اليونانية
القديمة.

ولو قام فنانونا برسم الصور التي تظهر محتوى هذه الأشعار تشكيلا لحصلنا على تراث كاريكاتيري قلما نجده عند الشعوب الأخرى وهذا موضوع أيضا تعرض للتقصير فكافة الأعمال الأدبية العالمية تم تصويرها تشكيلا، حتى في مراحل متأخرة بعد ظهورها، وما زال الرسامون والنحاتون يستمدون الكثير من مواضيعهم من الأعمال الأدبية الشهيرة كـ «دون كихوت» وغيرها حتى الآن فما الذي يمنع الفنانين العرب من تصوير التراث العربي وبخاصة وأن الكثير من محتويات هذا التراث شكلت موضوعا خصبا لأعمال الكثير من الفنانين العالميين ومن باب التنويه نذكر بـ «شهرزاد» التي كانت على مر العصور بطلنة لأعمال الكثير من الفنانين الأوربيين.



الشكل (49)

صفحة من مقامات الحريري
يحيى بن محمود الواسطي
(1237 م).



الشكل (50)

صفحة من مقامات الحريري يحيى بن محمود
الواسطي (1237م)



الشكل (51)

«زرياب» يعزف للنسوة. الأندلس القرن الرابع عشر الميلادي.



الشكل (52)

رسم عربي من القرون الوسطى، يصور يوم استقبال النساء في الحرم ملك .



الشكل (53)

رسم عربي، من القرن السادس عشر يصور ليلة الدخلة.

وعلى الصعيد العالمي، فإن الكثير من الرسوم التي كانت تصور محتويات الأعمال الأدبية الساخرة كانت إحدى الأسباب الرئيسية لتطور وظهور فن الكاريكاتير بمستواه وشكله الحالي والأمثلة في هذا المجال لا تحصى وسوف نلتقي بالكثير منها على الصفحات اللاحقة.

وإلى جانب الأدب فقد لعب في تطور الكاريكاتير دورا مهما الفلكلور الشعبي، في كثير من البلدان فإلى جانب النكات والتي تعتبر إنتاجا شعبيا لا يعرف مؤلفها، والأشعار الساخرة التي تتردد في الأعراس والأمثال الشعبية الساخرة فقد ظهر كذلك فلكلور تشكيلي استخدم في موضوعه الأدب الشعبي أو أبدع لنفسه، موضوعات جديدة وهذه الرسوم كانت في أغلب الأحيان ترفق بنصوص من الشعر الشعبي أو الأمثال الشعبية أو النكات وما شابه ومن هذه الرسوم يمكن الإشارة إلى رسم من القرن الثامن عشر يصور فلاحا فرنسيا

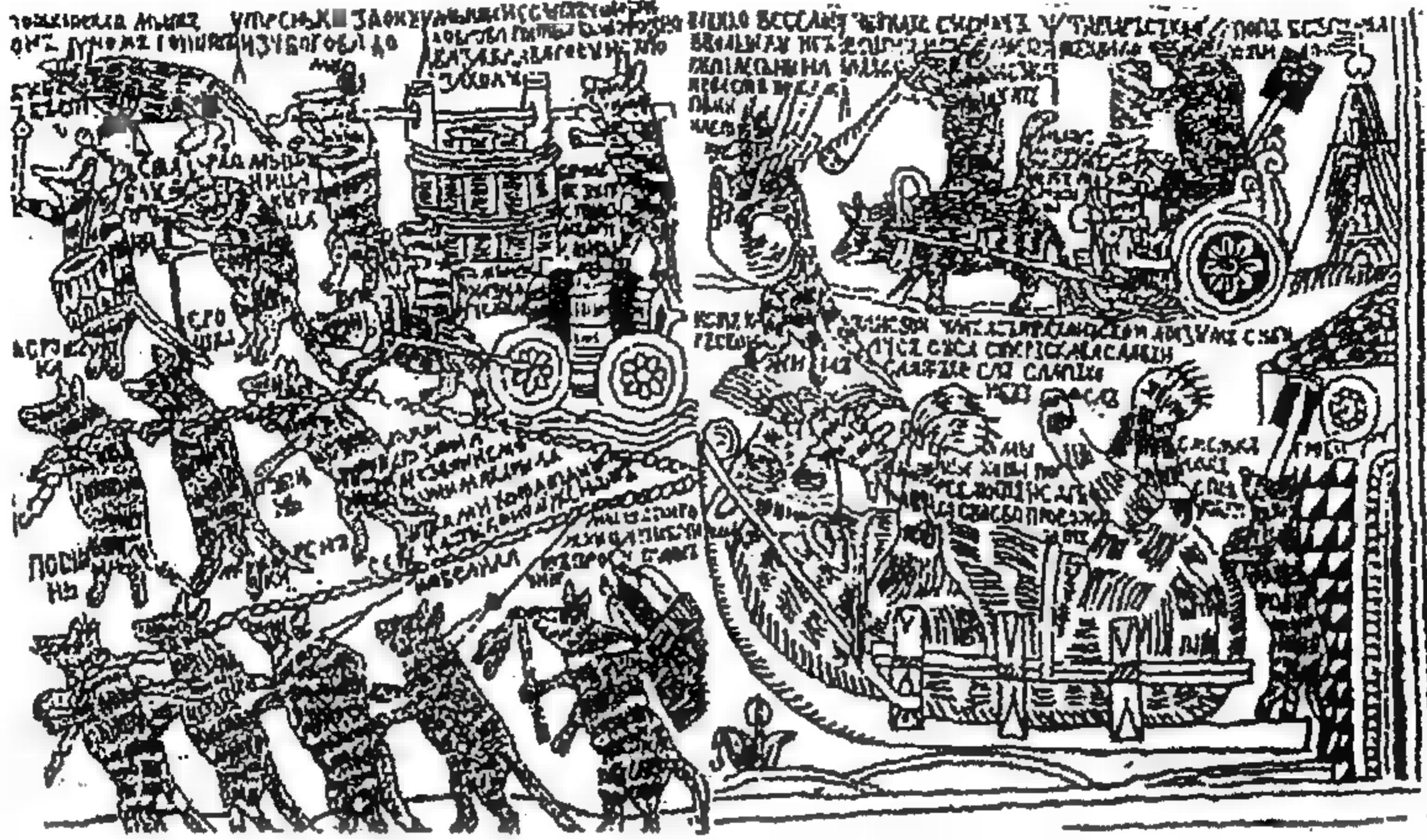
يرعى بالملك «ليوديفيغ» السادس عشر طبع بأعداد كبيرة وكان يرافقه نص
يقول (لقد أصبت بالفقر، لكي أعلفه والآن لا أعرف ماذا أفعل به) ويصور
الرسم الملك على شكل شاة لها رأس الملك (الشكل 54).



الشكل (54)

فلاح يرعى الملك «ليوديفيغ» السادس عشر مع تعليق: (لقد أصبت بالفقر لكي أعلفه، والآن لا أعرف
ماذا أفعل به). رسم كاريكاتيري لفنان مجهول يعود لنهاية القرن الثامن عشر.

ومن بين الرسوم الشعبية الروسية يمكن الإشارة إلى رسمين أحدهما يسخر فيه
مؤلفه المجهول من القيصر «بطرس» الأول (الشكل 55)، حيث يصور الرسام
مجموعة من الفئران تشيع قطا إلى مثواه الأخير ويحاول اعطاء وجه القط ملامح
وجه القيصر والذي كانت ملامحه أصلا فيها شبه كبير من ملامح القطط ويعود
الرسم إلى القرن الثامن عشر، وإلى رسم آخر يسخر من القيصرة «كاترين»
الثانية ويعود إلى القرن الثامن عشر ويسمى الساحرة الشريرة والفلاح الأصلع
(الشكل 56).



الشكل (55)

رسم شعبي روسي، يصور الفران تدفن قطاء، ويسخر من الامبراطور «بطرس الاول»، ويعود للقرن

الثامن عشر.



الشكل (56)

رسم شعبي روسي، يسخر من الامبراطورة «كاترين» الثانية ويسمى (الساحرة الشريرة والفلاح الاصلع).

ويعود إلى القرن الثامن عشر.

واستخدمت الرسوم الشعبية كذلك في الكثير من الصراعات والحروب وخاصة في الثورة البورجوازية الهولندية (1566—1609) ضد الحكم الإسباني بقيادة «فيلهم اورانيا الاول»⁽²³⁾ و الحرب الفلاحية الألمانية (1524—1526م)، وحروب الإصلاحات الدينية التي قادها «مارتن لوثر»⁽²⁴⁾ ضد الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان والتي بدأت عام 1517م وغيرها من الصراعات الأخرى التي سنطرق إليها في مكان لاحق من هذا العمل.

إن كل ما سبق ذكره يمكن اعتباره المقدمات التاريخية لظهور فن الكاريكاتير، ولا يمكن اعتباره كاريكاتيرا بالمعنى المتعارف عليه في عصرنا الراهن، حيث أصبح الكاريكاتير فنا مستقلا يشكل أحد أنواع الفن التشكيلي، فقد بقي الكاريكاتير قبل عصر النهضة خارج إطار الفنون الرفيعة إن صح التعبير ولم يكن ينظر إليه النظرة الجدية من قبل الفنانين والمهتمين بالفن وبقي في إطار الدعابة والهجاء، وحتى عصر النهضة لم يكن هناك فن كاريكاتير بالمعنى الحرفي للكلمة رغم أن هذه المرحلة تعتبر بحق مرحلة ظهور اللبئات الأولى لفن الكاريكاتير، إلا أنه وإن لم يكن هناك فن كاريكاتيري، فإن عناصر المبالغة الساخرة أخذت تظهر في أعمال فنانين كبار يتربعون على عرش الساحة الفنية، والذين كانوا يسعون إلى الخروج عن المقاييس التشريحية الأكاديمية في تصوير ملامح الجسم البشري. ولعل الدراسات التشريحية التي قام بها الفنان «ليوناردو دافنشي» (1452—1519م) والتي سعى فيها إلى استخدام المبالغة والتضخيم في ملامح الوجوه البشرية، تعتبر أولى هذه اللبئات، حيث قام «ليوناردو دافنشي» بتنفيذ عدد لا بأس به من الرسوم التي خرق فيها المعايير التشريحية كدراسات تشكيلية بل إن بعضها كانت تخطيطا لوجوه، كان يزعم إدخالها في لوحات شهيرة له، مثل التخطيط الذي يصور فيه رأس «يهوذا» والذي يؤكد بعض الباحثين أن «دافنشي» رسمه كأحد الاحتمالات لرأس «يهوذا» في لوحته الشهيرة (العشاء السري) (الشكل 57). والذي يستخدم فيه دافنشي المبالغة

الطفيفة في تصوير الأنف والذقن، وتجاويز الجبهة، ولكن المبالغة الطفيفة تتعاضد في رسمه خمسة رؤوس (الشكل 58) والتي تظهر بشكل واضح في رسم الرأس الذي على اليمين وبخاصة في رسم الشفتين. ولكن هذه المبالغة تصل أوجها في رسومه رأسين (الشكل 59). وسبعة رؤوس (الشكل 60). ففي الرسم الأول يعط «دافنشي» ذقن المرأة العجوز كمقدمة صاروخ، ويعقف الأنف بحيث يكاد يلتقي بالذقن بعد الشفة السفلى. وفي الرسم الثاني تطال المبالغة الرؤوس جميعا.

ورغم أن هذه الرسوم لم تعتمد موضوعا ساخرا محمدا فإنها مع ذلك تعتبر البداية الحقيقية لفن «الكاريكاتير» كبناء تشكيلي إذ أنها أخرجت المبالغة من مرحلة التشويه الساذج المتدني المستوى تشكليا إلى مرحلة التشويه والمبالغة التي تتطلب مهارة عالية، وذات المستوى التشكيلي العالي، وإضافة إلى ذلك فإن صاحب المبادرة كان «ليوناردو دافنشي» رائد الفن التشكيلي في عصره مما أعطى المجال للفنانين التشكيليين الآخرين للإقدام دون خوف على استخدام المبالغة في تنفيذ رسوماتهم، وتصوير شخصياتهم. وأخذت الوجوه ذات المعالم المضخمة تظهر في أعمال فنية جدية ضخمة.

ولعل المبالغة بلغت أوجها عند الفنان الفلمنكي «جرونيم بوش» (1460 — 1516م) حيث أن المبالغة كانت تطبع معظم أعماله، وإن كان الهدف من هذه المبالغة ليس دائما السخرية. حيث أن معظم أعمال «بوش» كانت تستمد موضوعاتها من الإنجيل أو تستخدم موضوعات دينية أخرى، ومن لوحاته نشير إلى اللوحات التي تبدو عناصر المبالغة مستخدمة فيها، مثل لوحته (زواج في قانا) (1475 — 1480م) و(استئصال حجر الغباء 1475 — 1480م) و (الخطايا السبع 1475 — 1480م) ففي اللوحة الأولى التي يستمد موضوعها من أولى عجائب المسيح حين حول الماء إلى خمر يمكن أن نلاحظ عناصر المبالغة في وجه أكثر من شخص من شخصيات اللوحة، وفي اللوحة الثانية يصور «بوش»

دجالا يستأصل حجرا مزعوما من رأس رجل غبي يدعى «لوبيرت» بحضور قس وقسياسة كشهود على العملية ويلمح بوش في هذه اللوحة إلى تخلف قوانين الكنيسة وقساوتها، وذلك من خلال المشتقة ودولاب التعذيب البادين في خلفية اللوحة واللذين كانا من أكثر أساليب العقاب شهرة لدى الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى. أما في لوحته (الخطايا السبع) والتي تتألف من سبع لوحات متصلة بشكل دائري تمثل كل واحدة منها إحدى هذه الأخطاء فإن المبالغة مستخدمة في تصوير معظم شخصيات اللوحة وفي الرسم الذي يصور (الشراة) تبدو الصور جميعها بشكل كاريكاتيري.

وعناصر المبالغة تبدو واضحة بشكل أكبر في لوحته (حمل الصليب 1510 تقريبا) والتي يصور فيها المسيح حاملا صليبه على طريق الجلجلة وحوله مجموعة كبيرة من الوجوه التي أعطى لها «بوش» ملامح كاريكاتيرية (الشكل 61) وكذلك لوحته (إكليل الشوك، بين 1480 و 1500) والتي يقوم فيها مجموعة من الأشخاص بتتويج إكليل الشوك على رأس المسيح (الشكل 62) و (الشكلين 63-64) والتي يحمل معظمهم كذلك وجوها ذات ملامح كاريكاتيرية. وكذلك يمكن القول عن لوحة أخرى له تحمل نفس العنوان وتصور نفس الموضوع، كما نرى في لوحة (المسيح أمام الجمهور 1480 — 1485م) الملامح الكاريكاتيرية في وجوه جميع الذين يحيطون بالمسيح على المنصة وفي وجوه الجمهور المحتشد تحت المنصة، وكذلك في لوحة تحمل اسما متكررا (حمل الصليب) والتي يعتقد أنها جزء من لوحة ضاع جزؤها الآخر أو يوجد في أماكن مختلفة كلوحات مستقلة.

وهناك عدد كبير من اللوحات الأخرى التي تحمل شخصياتها المبالغة وإضافة إلى ذلك تعالج مواضيع ساخرة مثل لوحته (موت بخیل، 1490 — 1500م) حيث يصور عجوزا بخیلا يلقي بالنقود في صندوق في منزله، وعلى السرير

ملاك يشير إلى تمثال المسيح مصلوباً عند نافذة المنزل، وملاك الموت يوشك أن يطلق رمحاً إلى ذلك العجوز، وهذه اللوحة وإن كانت تلجأ إلى الدين فهي لا تصور موضوعاً دينياً بحتاً، وإنما تعالج ظاهرة البخل وكنز المال، وبالتالي فهي تعالج ظاهرة اجتماعية سلبية وهي قربة في ذلك من فن الكاريكاتير وإن كانت معالجتها لهذه الظاهرة غير كاريكاتيرية (الشكل 65).



الشكل (57)

«ليوناردو دافنشي» (رأس يهوذا) تخطيط للوحة العشاء الأخير 1494-1497م. (اللامع الكاريكاتيرية تتجلى في

المبالغة بالمقاييس التشريحية في الأنف والذقن، وفي تجاعيد الجبهة .)



الشكل (59)
«ليوناردو دافنشي» (رأسان)



الشكل (58)
«ليوناردو دافنشي» (خمسة رؤوس).



الشكل (60)
«ليوناردو دافنشي»، (رؤوس كاركاتيرية).



الشكل (61) «بوش»
(حمل الصليب) لوحة تعود
إلى حوالي 1510 م.



الشكل (62)
«بوش» (توبيخ أكلييل الشوك) بين
1480 _ 1500 م.



الشكل (63)

«بوش» (تويج اكليل الشوك) (تفصيل).



الشكل (64)

(تويج إكليل الشوك) (تفصيل)



الشكل (66)

«بوش» (سفينة المجانين) 1490 - 1500 م .



الشكل (65)

«بوش» (موت بيجيل) 1490 - 1500 م .



الشكل (67)

«بريغيل» (صراع العيد والصوم) 1509 م.

وفي لوحته (الساحر) والتي تعود إلى الفترة الأولى من نشاطه فإنه رغم الخلاف على تفسير مضمون اللوحة من قبل النقاد فإن هنالك إجماعاً على موضوعها الساخر، وهذه اللوحة تصور دجالاً يقوم ببعض الأعمال السحرية البسيطة التي يثير عبرها دهشة الجمهور، ويشد أنظاره بينما يقوم معاونه حسب رأي بعض النقاد بانتشال كيس نقود معلق إلى خصر أحد المشاهدين وفي هذه اللوحة يسخر «بوش» من جهل الجمهور الذي انخدع بالألعاب البسيطة التي كان الدجال يقوم بها ولم ينتبه إلى هدفه الحقيقي، وهو السطو على أموالهم.

وفي لوحته (سفينة المجانين، بين 1490 — 1500م) يصور «بوش» مجموعة من البشر على رأسهم راهب وراهبة يغنون ويمرحون على ظهر سفينة في البحر (الشكل 66) والتي عجز النقاد عن تفسير محتواها ويعتقد البعض منهم أنها تصور عملاً شعرياً ملحمياً ساخراً لـ (سيباستيان برانت) بنفس الاسم نشر عام 1494م، أي في نفس الفترة التي رسمت فيها اللوحة والتي يتحدث فيها عن سفينة للمجانين أبحرت إلى بلد المجانين، وكذلك لوحته (الشراة والشبق) والتي يعتبرها الكثيرون جزءاً من لوحته (سفينة المجانين) وفي هاتين اللوحتين يقوم «بوش» باستخدام المبالغة في رسم الوجوه بشكل كاريكاتيري.

واستخدام المبالغة كما قلنا موجود في جميع لوحات «بوش» تقريباً ولكن لا يمكن وصف جميع هذه اللوحات بأنها استخدمت المبالغة الكاريكاتيرية ففي الكثير من لوحاته مثل (بساتين المتع الدنياوية، حوالي 1493) ولوحته (إغواء القديس أنطوني، حوالي 1500) ولوحته (عربة القش، حوالي 1500) لا يمكن وصف المبالغة التي استخدمها بوش بالمبالغة الساخرة أو اعتبارها عناصر كاريكاتيرية، فهي مبالغة خيالية تميل إلى السورالية ويمكن اعتبارها إحدى منابغ الحركة السورالية لاحقاً. وما أن الحديث يدور عن بوش فلا بد من الإشارة إلى الفنان الهولندي الفلمنكي «بريغيل» (1525-1569م) والذي تأثر في رسومه إلى حد كبير بأسلوب "بوش" ويمكن الإشارة إلى لوحاته التي استخدم فيها المبالغة الساخرة

مثل لوحته (صراع العيد والصوم 1559 م) والمليئة بالأشخاص الذين صورهم الفنان بشكل كاريكاتيري (الشكل 67) وكذلك لوحته الشهيرة (الأمثال الشعبية الهولندية، 1559 م) والتي تعتبر بحق موسوعة للأمثال الشعبية الهولندية حيث تحتوي على أكثر من مائة مشهد يصور كل واحد منها مثلاً شعبياً هولندياً (الشكل 68) ففي وسط اللوحة على سبيل المثال رجل يطمر حفرة ولكن بعد أن سقط فيها عجل (رأس العجل في الحفرة غير واضح في الرسم المرفق المنفذ بالأبيض والأسود في هذا العمل) ويعبر هذا المشهد عن المثل الذي يصور شخصاً يقوم بعمل ما بعد فوات الأوان والذي يقابله بالعربية المثل القائل (ذاهب إلى الحج والناس راجعة) وقربه امرأة تلبس زوجها معطفاً أزرق، أي أنها تخونه حسب الأمثال الشعبية الهولندية "الفلمنكية" وقرب الحائط رجلان أحدهما يجز صوف غنمة والآخر يجز شعر خنزير فيحصل الأول على الصوف والثاني لا يحصل على شيء أي أنك تحصد ما تزرع حسب المثل العربي المقابل وإلى آخره من الأمثال. وكذلك يمكن القول عن لوحته (ألعاب الأطفال 1560 م) والتي تحتوي كذلك على مشاهد تصور أكثر من 80 لعبة كان يمارسها الأطفال في ذلك العصر، والتي نفذت الوجوه فيها بأسلوب المبالغة الساخرة الشكل (69). وبعض لوحات "بريغيل" تحمل موضوعات ساخرة بحتة مثل لوحته (بلد الكسالى 1567 م) التي يصور فيها جندياً وفلاحاً وطالباً، وقد تمددوا تحت طاولة عليها بقايا أطعمة وقد ألقى الجندي رمحاً جانباً والفلاح معولاً والطالب كتابه (الشكل 70)، ولوحته (الهارب من الناس 1568 م) والتي يصور فيها طفلاً لصاً يقطع بسكينه حبلًا علق فيه كيس نقود شد إلى وسط رجل عجوز، وأسفل الرسم عبارة تعود للعجوز وتقول (بما أن العالم غدار إلى هذه الدرجة فيأني أرتدي ثوب الحداد) ونرى عدا الموضوع الساخر المبالغة في أنف العجوز وفي وجه اللص الصغير (الشكل 71) و«بريغيل» مثله مثل "بوش" استخدم المبالغة ذات الميول السورالية في الكثير من لوحاته ويعتبر كذلك أحد آباء السورالية.



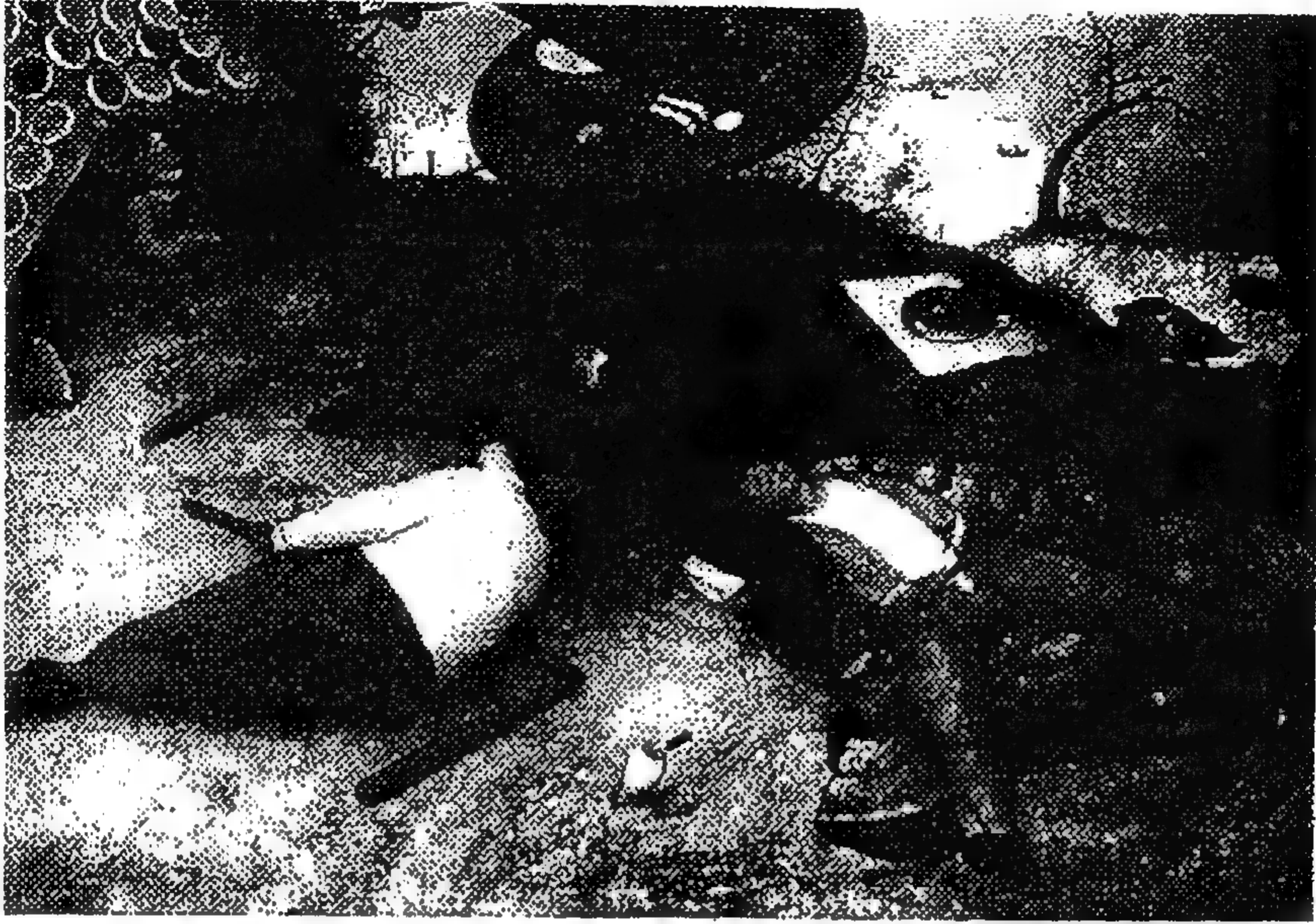
الشكل (68)

(الأمثال الهولندية) «بريغيل» 1559 م.



الشكل (69)

«بريغيل» (العاب الأطفال) 1560 م .



الشكل (70)

(بلد الكسالي) «بريغيل» 1567م.

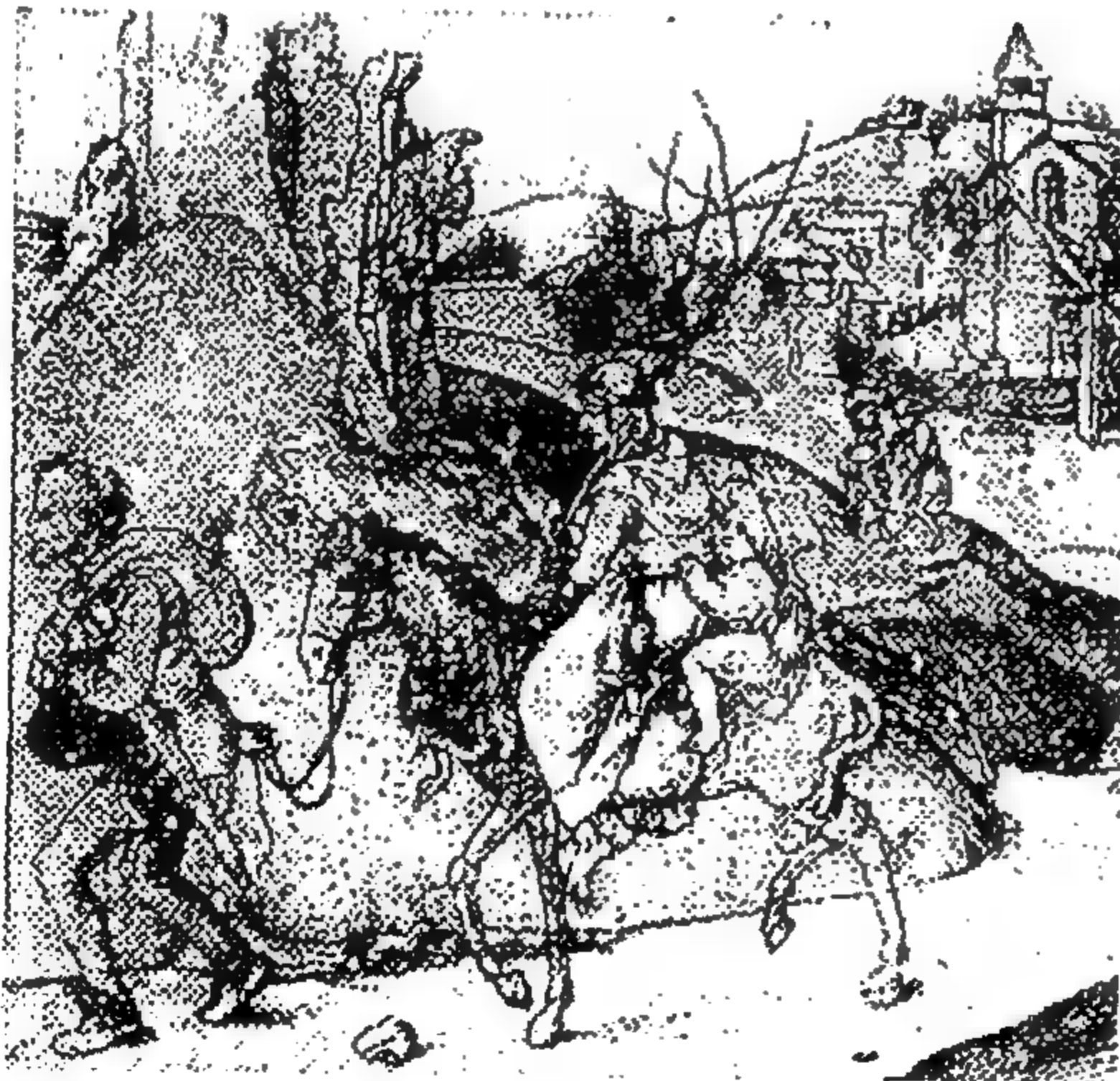


الشكل (71)

(المأرب من الناس) «بريغيل»

1568م

وفي ألمانيا يمكن كذلك العثور على عناصر المبالغة الساخرة في أعمال عدد من الفنانين الألمان الذين يعتبرون كذلك من رواد عصر النهضة الأوربية، وخاصة في الأعمال "الغرافيكية" منها ويمكن الإشارة إلى الفنان "شونغاور" (1430-1491م) الذي استخدم في بعض أعماله أسلوب المبالغة أيضاً، ومن هذه الأعمال نذكر لوحته (الفلاحون يذهبون إلى السوق)، والتي يستخدم فيها المبالغة الطفيفة في رسم أنف الفلاح وزوجته (الشكل 72)، وكذلك في أعمال الفنان "البريشيت دورير" (1471-1558م) الذي يمكن الإشارة إلى لوحته (ثلاثة فلاحين، 1497م) والتي يستخدم فيها المبالغة أيضاً (الشكل 73) والذي اشتهر أيضاً باستخدام المبالغة في رسومه وصور في كثير من لوحاته أحداث وأبطال الحرب الفلاحية الألمانية. ويمكن الحديث كذلك عن الفنان الألماني "غولبين" (1497-1543م) الذي اشتهر برسم اللوحات المسلسلة والتي منها سلسلته (مديح الغباء) وسلسلته (أشكال الموت) التي نتقي منها رسماً (الشكل 74) يقود الموت فيه عجوزاً إلى القبر ويحمل الموت أمامه لوحة خشبية تشبه بسطات الباعة الجوالين، ويستخدم "غولبين" فيه المبالغة وبخاصة في وجه العجوز وهيئة الموت المرححة.



الشكل (72)

(الفلاحون يذهبون إلى السوق)،

حفر على النحاس، «شونغاور».

ويمكن العثور على المبالغة الساخرة في أعمال فنانين كثير مثل الفنان الهولندي "مارتين دي فوس" (1532-1603) الذي يمكن الإشارة إلى رسمه (ناسك في البرية) حيث تبدو المبالغة في رسم وجه الناسك وحركته. وكذلك في أعمال عائلة الفنانين كاراتشي وبخاصة في أعمال انيبال كاراتشي (1560-1650م) الذي يؤكد بعضهم على أنه أول من رسم بهدف الإضحاك. ومن الفنانين الذين استخدموا المبالغة كذلك في بعض أعمالهم يمكن ذكر الفنان الهولندي "بيتر باول روبينس" (1577-1640م) والذي يمكن الإشارة إلى عمله (رأس سيلين) الذي ربما هو تخطيط للوحة من لوحات "روبينس" (الشكل 75) الذي استمد مثله مثل الكثيرين غيره موضوعاته من الأسطورة اليونانية، وربما يكون هذا التخطيط للوحة (سيلين سكران) المستمدة من الأسطورة اليونانية ويمكن العثور على المبالغة كذلك في لوحاته (الخلاعة) و(ورقصة فلاحية) وغيرها



الشكل (74)

رسم من سلسلة (أشكال الموت)، «غولين

الأصغر»، 1538م.



الشكل (73)،

(ثلاثة فلاحين)، «دورير»، 1497 م.

ومن أوائل الرسامين الذين مارسوا فن الكاريكاتير بالشكل القريب من الشكل المعاصر كان الفنان الإيطالي "بيير ليونيه غيتسي" (1674-1755م) الذي استخدم المبالغة في رسم ملامح الوجوه بهدف إثارة الضحك، وقد نفذ هذا الفنان عدداً كبيراً من الرسوم الكاريكاتيرية بلغ أكثر من الثلاثة آلاف رسم ويمكن القول إنه بالرغم من الموهبة الكبيرة لهذا الفنان كفنان تشكيلي وعالم آثار وموسيقي، وعلامة في الطب وتاجر فإن هذه الرسوم الكاريكاتيرية بالذات هي سبب شهرته الأول والأساسي، ويمكن القول إنه منذ ظهور رسوم غيتسي يمكن البداية بالتأريخ لفن الكاريكاتير كفن مستقل، ومن رسوم "غيتسي" يمكن الإشارة إلى رسمه (الحفل) الذي يصور فيه بشكل فكاهي أعضاء النادي الموسيقي الذي أقامه كمنافس للفرق الموسيقية الرسمية والدينية، والذي كان يجتمع مرة في كل أسبوع. (الشكل 76) وإضافة إلى غيتسي يمكن كذلك الإشارة إلى الفنان الهولندي "أدريان أوستادي" (1610-1686) الذي استخدم في الكثير من رسوماته إن لم نقل معظمها المبالغة الساخرة، وصور مواضيع ساخرة استمدتها من حياة الناس العاديين مثل رسمه (عراك، 1637م) الذي يصور فيه فلاحين يتعاركون (الشكل 77)، ولوحته (في الحانة)، التي يصور فيها فلاحين يجلسون في الحانة يشربون الخمر ويتجادلون أطراف الحديث (الشكل 78)، وقد استخدم "أوستادي" المواضيع الساخرة والمبالغة الساخرة في معظم اللوحات التي تعود إلى المرحلة الأولى من نشاطه الفني، ويمكن الإشارة إلى عدد كبير من اللوحات منها (الدجال، 1648م) ويصور دجالاً يبيع العقاقير المزيفة للفلاحين في ساحة القرية ولوحاته الخمس التي تؤلف مجموعة سلسلة تسمى (الحواس الخمس) التي يصور في إحداها (البصر) فلاحاً عجوز تفلي القمل من رأس حفيدها، وفي لوحة أخرى (السمع) يصور ولداً يقرأ قصاصة ربما كانت رسالة بصوت عال يدفع بعازف شاب إلى إبعاد رأسه لشدة الصوت بينما عجوز تقرب أذنيها من القارئ لأنها لا تسمع جيداً، وفي لوحة ثالثة (الشم) يصور "أوستادي" امرأة عجوزاً

تمسح مؤخرة حفيدها، بينما رجل يسد أنفه اتقاء للرائحة الكريهة المنبعثة من
جهة الطفل، أما في لوحة (الذوق) فيصور فلاحين يأكلون ويشربون، ويمكن
كذلك ذكر لوحاته (العيد القروي) و(العيد الفلاحي) و(ورشة الحائك).



الشكل (75)

(رأس «سيلين») («روينس» 1601 - 1604 م .



الشكل (76)

(الحفل) « غيتسي » .



الشكل (77)

(عراك) «أوستادي» .

ويمكن ملاحظة المبالغة كذلك في عدد غير قليل من رسوم "البورتريه" التي نفذها «أوستادي» ومنها على سبيل المثال (عجوز على النافذة) و(العارف الجوال) و(المدخن) والكثير غيرها وكذلك في الأعمال التي نفذها في الفترة الثانية من نشاطه الفني مثل لوحته (دعاء قبل الغداء) و(الفلاحون سائقو العربات قرب الموقد) و(عارفون قرويون) و(الكيميائي) و(المدرسة) والكثير غيرها من اللوحات ويمكن كذلك إضافة أعمال «أوستادي» في قائمة أعمال الفنانين التي يبدأ منها التأريخ لفن الكاريكاتير.

وفي أعمال الفنان الفلمنكي «ياردانس» (1593-1678م) يمكن كذلك العثور على عناصر المبالغة وخاصة في المخططات الأولية لبعض لوحاته مثل رسمه (التنديد بعبادة الأصنام) الذي يعود إلى حوالي 1655م والذي يعتقد بعض

الباحثين أنه تخطيط للوحة غير معروفة للفنان تسمى (لاتصنع صنما)، وفي وسط اللوحة راهب واعظ يطرح سؤالاً: (ما هو الأفضل تحويل الإنسان إلى حيوان أم تحويل الحيوان إلى إله؟) والسؤال مكتوب على واجهة المنصة التي يقف عليها الراهب وإلى اليسار مجموعة تصلي للعجل الذهبي ورجل على شكل إله الخمر في الأسطورة اليونانية وحوله مجموعة من الرجال أوصلهم الإفراط في تناول الخمر إلى الحالة الحيوانية، وإضافة إلى السخرية في الموضوع فإن "ياردانس" يستخدم كذلك هذا الأسلوب في لوحات أخرى يستمد محتواها من الإنجيل مثل لوحته (حمل الصليب) وغيرها.

ومن الفنانين الذين يمكن الإشارة إليهم كذلك، الفنان الفلمنكي «ديبينيك» (1596-1675م) وخاصة في الرسوم التي يستمد موضوعاتها من الأسطورة اليونانية، ويمكن الإشارة إلى رسمه (ديونيس النائم)، الذي يسنده «ساتير» وحوطها ملائكة الحب، وفي هذا العمل يظهر واضحاً تأثير الرسام بأعمال «روبينس» ويمكن كذلك الإشارة إلى عمل للفنان الهولندي "ليوناردو «برامير» (1595-1674م) اسمه (مشهد من الإنجيل) ويستخدم فيه المبالغة في رسم ملامح الوجوه.

ومن الفنانين الذين اشتهروا برسومهم الساخرة الفنان الفرنسي «جاك كالو» (1592-1635م) الذي اعتمد في رسومه بشكل أساسي على تصوير العيوب الخلقية والجسمانية وقام بتنفيذ عدة سلسلات من الرسوم استخدم فيها المبالغة، ولعل أكثر هذه السلسلات إمعاناً في المبالغة سلسلة (الحذب) التي يصور فيها وضعية الأحذب في أشكال مختلفة والتي نفذها عام 1622م و(أهوال الحرب) والتي نفذها بين عامي (1632-1633م) ويمكن كذلك الإشارة إلى أعمال الفنان الهولندي «وليم بيتيفيه» (1592-1624م) الذي اشتهر بشكل أساسي برسم المناظر الطبيعية، ولكن له أعمالاً تصور الحياة الاجتماعية كذلك ومنها ما يصور الحياة الفلاحية وما يصور الحياة الأرستقراطية، ومن هذه اللوحات لوحته

(مجتمع مرح) الذي يصور فيه مجموعة من أبناء الطبقة الأرستقراطية في ثياب فخمة، كسالى يتمددون على الكراسي وفي وجوههم أنوف كاريكاتيرية، إضافة إلى ذلك فقد كان "بيتفيه" يؤلف الرسوم لأعمال «بريديرو» المسرحية الكوميدية واشتهر بالأعمال التي نفذها لكوميديا "لوسيل" وقد تطرق "بيتفيه" في الكثير من أعماله إلى مؤلفات "بريديرو" مما ساعد في فهم رسومه. ويمكن القول إنه في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر أصبح هناك فن اسمه فن الكاريكاتير، أما عناصر المبالغة الساخرة في الأعمال الفنية التي تعود إلى المرحلة التي أعقبت بداية عصر النهضة، فيمكن العثور عليها في الكثير من أعمال الفنانين الذين لم نتطرق إلى أسمائهم وأعمالهم لعدم الإطالة ونعتقد بشكل عام أننا تطرقنا إلى أهم الأسماء في هذا المجال، وأن الأمثلة المطروحة هي نموذج مختصر لتوضيح عملية تطور فن الكاريكاتير التاريخية ولذلك فإننا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة ونترك التفصيل لدراسات متخصصة في فترات محددة من تاريخ الفنون.



الشكل (78)

(في الحانة) «أوستادي» .

وفي القرن السابع عشر ظهر فنانون احترفوا السخرية وتخصصوا بها، حيث أخذت تظهر الاتجاهات التي تبعد عن التقليدية والمحافظة، وأخذت تختفي معالم الجمال المطلق من أعمال الفنانين ويحل محلها عناصر السخرية والمبالغة، وهذا ما ينطبق على أعمال الفنان الإيطالي «اليساندرو مانياسكو» (1667-1749م) الذي تأثر كثيراً بأعمال الفنان الفرنسي «جاك كالو» وصور في الكثير من أعماله الحياة الاجتماعية في إيطاليا، وكان يحمل رسومه الموضوعات التراجيدية الكوميديّة أو ما يسمى بالسخرية السوداء، أما الشخصيات فكان يصورها ممطوطة ونحيفة بشكل غير طبيعي يثير السخرية والاشمئزاز بنفس الوقت.

إن عناصر المبالغة الساخرة وإن طبعت أعمال عدد من الفنانين إلا أن هذه المبالغة لم تسعى إلى النقد وأول من أستعمل الرسم الساخر بهدف النقد كان الفنان الإنكليزي «وليم هوغارت» (1697-1764م) والذي يعتبر مؤسس اتجاه النقد الاجتماعي في الفن الأوربي وله مجموعة كبيرة من السلسلات التي تصور مواضيع مختلفة والتي تنتقد في غالبيتها ظاهرات اجتماعية سلبية مثل ظاهرة الدعارة التي كرس لها سلسلة رسومه (مهنة الدعارة) التي نفذها بين عامي (1730-1731)، وظاهرة الاسراف والتبذير التي كرس لها سلسلة (مهنة المبذر) التي نفذها بين عامي (1732-1735م)، وظاهرة الانتخابات التي كرس لها سلسلة (الانتخابات) التي نفذها عام (1755م) ونتوقف عند رسم من تلك السلسلة التي يصور فيه مندوباً يجلس على كرسي محمولاً على الأكتاف (الشكل 79) وهذا ما يبدو طبيعياً للوهلة الأولى، إلا أن الحركة التي تدور رجاها بالعصي والقضبان الحديدية تجعل الأمر يختلف إذ أن المندوب هنا مرفوعاً ليس ابتهاجاً به وإنما لكي لا يطاله الضرب وهو يجلس على الكرسي بشكل غير متوازن وعلى وشك السقوط ويمكن كذلك تفسير الرسم بأشكال مختلفة أخرى اعتماداً على عناصر ثانوية في اللوحة، فلباس معارضي المندوب مثلاً يدل على

أهم ينتمون إلى الفئات الفقيرة بينما المندوب سمين غير قادر على الحركة، ولذلك فالصراع يدور بين هذا المندوب الذي يمثل أغنياء المجتمع وبين فقراء هذا المجتمع، ويمكن كذلك فهم اللوحة على أنها اقتتال عادي بين أنصار المندوب ومعارضيه وبالتالي فإن «هو غارت» يمكن أن يرمز فقط إلى طبيعة الانتخابات التي لا تترافق بسير ديمقراطي للعملية، وإنما يرافقها مظاهر لا ديمقراطية تناقضها تماماً. ومن الفنانين البارزين الذين يمكن الإشارة إليهم الفنان الإسباني المشهور «فرنسيسكو غويا» (1746-1828م) والذي ظهر في نفس المرحلة التي ظهر فيها «هو غارت»، وقد تميزت رسومات «غويا» بالتجديد والانفعالية الحادة، والخيال الواسع، وعالج في رسومه الظواهر الاجتماعية المختلفة بشكل ساخر وله رسوم كثيرة في هذا المجال منها مجموعة تضم ١١ رسماً ساخراً عام 1799م استخدم «غويا» فيها إضافة إلى الرسم نصاً أدبياً مرافقاً للتوضيح، ومن هذه الرسوم يمكن أن نذكر رسم (لا أحد يعرف أحداً) مرافقاً بالنص: (الضوء يكشف حقلاً تنكرياً، الوجه والثياب والصوت فيه مصطنعة، الجميع يريدون الظهور بغير ما هم عليه في واقع الحال والجميع يكذبون على بعضهم بعضاً ولا تعرف أحداً)، وفي رسم آخر يصور «غويا» امرأة تنتزع سناً من فم رجل معلق على حبل المشنقة، وربما ظن الإنسان أن «غويا» ينتقد ظاهرة سرقة الأموات حيث يمكن أن تكون هذه المرأة طامعة بسنن ذهبي في فم المسروق، إلا أن «غويا» في الحقيقة ينتقد بشكل أساسي ظاهرة الاعتقاد بالخرافات والتي تؤدي إلى ارتكاب هذه الشناعات حيث يقول في النص: (أسنان المشنوق أداة عجيبة للسحر، وبدونها لا تستطيع أن تفعل شيئاً مفيداً. من المؤسف أن عامة الشعب تؤمن بهذه الخرافات) وفي رسمه (أية تضحية) يهاجم «غويا» ظاهرة اجتماعية أخرى هي تزويج الفتيات المنحدرات من العائلات الفقيرة لرجال أغنياء رغماً عنهن بغض النظر عن صفات أولئك الرجال حيث يصور «غويا» العريس مقوس الرجلين أحذب قصير القامة

ممسوخ الوجه وابتسامة رضى غبية مرتسمة على شفثيه. أما الفتاة فهي جميلة مشوقة القد يقوم أهلها بتسليمها لذلك الرجل، وهذا ما يوضحه النص المرافق (الشكل 80—، أنظر النص المرافق هناك). وفي رسمه (بيته يحترق) يسخر «غويا» من ظاهرة أخرى هي ظاهرة الإدمان على الخمر، يصور رجلاً يهذي يحاول خلع سرواله ولكنه لا يستطيع، في الوقت الذي تآكل النيران فيه بيته. وفي رسمه (من ذلك الغبار) يهاجم «غويا» الدعارة والزنا (الشكل 80). ويأخذ «غويا» اسم الرسم من المثل الشعبي القائل (من ذلك الغبار تجمع هذا الوسخ) والداعسة أو الزانية في ذلك الوقت كانت تفضح على الملأ حيث يتم تعرية الجزء العلوي من جسدها ويتم إركابها على حمار وشد يديها على خشبة مثبتة على رقبتها، ويتم الدوران فيها بالبلد، لتكون عبرة لمن اعتبر وهذا ما يصوره غويا في رسم آخر (هنا لم يكن من الممكن فعل شيء) الذي يعتبر متابعة للرسم الأول الذي يصور المحاكمة (الشكل 82) أما الرسم الأول فيرفقه بالنص التالي: (يا للفظاعة، أيتصرفون بهذا الشكل مع هذه المرأة الحسنة التي مقابل النقود قدمت خدماتها للجميع وكانت مجتهدة ومفيدة، يا للفظاعة) وإذا لم يلحظ الإنسان السخرية المبطنة في هذا النص فقد يفهم أن الرسام يتعاطف مع المرأة، إلا أن النص المرافق للرسم الثاني يأتي ليقطع هذه الشكوك إذ يقول: (إنهم يتعاملون مع هذه السيدة بقسوة. يفشون تاريخ حياتها، يتحدثون عن انتصاراتها، وهي تستحق ما نالت، وهم يفعلون ذلك لكي يشعرونها بالخجل ولكنهم عبثاً يهدرون الوقت فمن غير الممكن أن يشعر بالخجل ذلك الذي لا يعرف ما هو الخجل).

وفي أحد الرسوم (لقد كسر الحجر) يصور «غويا» مشهداً كوميدياً عادياً من حياة الناس، حيث تقوم امرأة بجلد ابنتها بالخداء على مؤخرته العارية وتبدو ملامح القسوة على وجه الأم ومع الرسم نص يقول: (الولد شقي والأم غضوبه، فمن هو الأسوأ؟). وفي رسم آخر (لماذا تخفيها؟) يصور رجلاً عجوزاً في الثمانين من العمر يقبض براحته على صرتين من النقود وعلى وجهه ملامح

الخوف من أن يفقد ههما، ويصور «غويا» في هذا الرسم طبيعة البخل ومكنز المال. وفي رسمه (من أسرة عريقة) الذي يصور فيه امرأة قبيحة يقوم بعضهم بشرح نسبها وحسبها للعريس الذي جاء لطلب يدها ظاهرة الانجرار وراء الأجداد الزائفة والمظاهر الكاذبة، وعدم رؤية الجوهر حيث يقول النص: (هنا يحاولون إغراء العريس شارحين له عراقه حسب العروس، من هم أهلها ومن هم أجدادها ومن هم أجداد أجدادها ومن هم أجداد أجداد أجدادها ، أما من تكون هي نفسها فهذا ما سيعرفه بعد ذلك).

إن رسوم «غويا» لم تقتصر على انتقاد المظاهر الاجتماعية السلبية فقط لدى البشر فرسومه هذه تعتبر بمثابة نصائح أخلاقية، وإن كان «هو غارت» الانكليزي يعتبر مؤسس الكاريكاتير الاجتماعي الناقد فإن «غويا» هو مؤسس الكاريكاتير الأخلاقي الناقد، وما يميز «غويا» في الكثير من رسومه هو لجوءه للرمز إذ أن الكثير من رسومه غير واضحة الهدف إذا لم يطلع المشاهد على النص المرافق لها. (أنظر رسوم أخرى «لغويا» مع النصوص المرافقة من الشكل 83 وحتى الشكل 89).



(رسم من سلسلة الانتخابات)، «وليم هو غارت»، 1755م.



الشكل (80)،

أية توضيحية «فرنسيسكو غويا»

(كالاعتاد، العريس ليس ملفتاً للنظر ولكنه غني، وعلى حساب حرية الفتاة التعيسة، تشتري الأسرة الفقيرة سعادتها، هذه هي الحياة).



الشكل (81)،

(من ذلك الغبار) «فرنسيسكو غويا»

(محاكمة العاهرة).



الشكل (82)،

(هنا لم يكن من الممكن فعل شيء) «فرنسيسكو غويا» (التشهير).



الشكل (83)، (أي محدث بارع)، «فرنسيسكو غويا».

(على ما يبدو هذا اجتماع علمي، يتحدث هذا البيغاء عن الطب ولكن لا يجب الثقة بكل كلمة من كلماته فعندما يتحدث فهو محدث بارع، أما عندما يكتب الوصفات فهو جلال، إنه يعرف بالأمراض جيداً ولكنه لا يعالجها، فهو يخدع المرضى ويعمل المقابر بالموتى).



الشكل (84)،

(سوف تغادر عندما يحل الفجر)، «فرنسيسكو غويا».

(حتى لو لم تحضروا البتة، فأنتم غير لازمين لأحد).



الشكل (85)، (خبرة الإذعان)، «فرنسيسكو غويا».

— هل تقسم أنك ستسمع معلميك ورؤساءك وتنظف السقيفة، وتعزف على الدف وتجوّح وتعوي

وتطير وتسلق وتدهن وتقصص وتنفخ وتقلي في كل مرة كما يأمرؤنك؟

— نعم أقسم.

— في هذه الحالة يا صاح فأنت ساحر شرير، رافقتك السلامة.



الشكل (86)

(يُحْكُون بِمَهَارَةٍ)، «فرنسيسكو غويا»

(إنهم يحْكُون بِمَهَارَةٍ بحيث لا يستطيع الشيطان نفسه فصل الخيوط التي يجهزها هؤلاء

الأطفال). (يعتقد أن هذا الرسم يمثل إلهات القدر عند الإغريق).



الشكل (87)،

(دقة متناهية)، «فرنسيسكو غويا».

(لقد طلب أن أرسم صورته — وحسنًا ما فعل. فمن لا يعرفه ولم يره فسيعرف كل شيء عند رؤية

صورته).



الشكل (88)، (المروط) ، «فرنسيسكو غويا».

(ذلك الذي لا يسمع شيئاً ولا يعرف شيئاً ولا يفعل شيئاً ينتمي إلى المراميط الكبيرة، الذين لم يتفعلوا
لشيء أبداً).



الشكل (89)،

(حتى الجيل الثالث)، «فرنسيسكو غويا».

(هذا الحيوان المسكين يكاد يفقد عقله بمساعدة علماء الشعارات والسلالات. إنه ليس وحيداً).

وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت مجموعة من الرسامين الإنكليز الذين يمكن القول إنه بظهورهم أرسى فن الكاريكاتير وجوده نهائياً كفن مستقل . ورغم تأثرهم الكبير بـ «هوغارث» إلا أن الفرق بينهم وبين هذا الرسام يكمن في أن نشاطات «هوغارث» الفنية كانت موزعة بين عدة اتجاهات ، إذ أنه كان رساماً تقليدياً وفناناً ساخراً و باحثاً نظرياً في الفن التشكيلي، وكذلك يمكن القول عن «غويا» الذي اشتهر إلى جانب رسومه الساخرة بلوحاته الكثيرة التي منها مجموعة كبيرة من لوحات البورتريه المخصصة للعائلة الملكية في إسبانيا. أما هؤلاء فقد اشتهروا بشكل أساسي برسومهم الكاريكاتيرية الساخرة بالدرجة الأولى.

وفي رأس هذه القائمة يمكن وضع اسم الفنان الإنكليزي «توماس رولاندسون» (1756 — 1827م) ويمكن إدراج أسماء لامعة أخرى مثل «هنري باتيري» (1750 — 1811م) و«جيمس غيلري» (1757 — 1815م) و«هنري فيغستيد» (؟ — 1800) و«جورج فودفارد» (1760 — 1809م) و«جون نيكسون» (؟ — 1818م) و«ريتشارد نيوتن» (1777 — 1798م).

إن هؤلاء الفنانين جعلوا من الكاريكاتير فناً ذا شعبية خاصة حيث أن الشوارع اللندنية كانت تعج بالمتفرجين الذين كانوا يجتمعون أمام الواجهات التي تضم أعداداً كبيرة من الرسوم الكاريكاتيرية التي كانت تملأ الشوارع اللندنية في ذلك الوقت والتي كانت تصور كافة مجالات الحياة، من السياسة والاجتماع إلى الرسوم التي التقطت لعابري السبيل، والتي كان المواطن البريطاني من خلالها يستطيع الاطلاع على كل شيء من آخر الفضائح في عالم الممثلين إلى المشاجرات في الحوانيت وبيوت القمار إلى المغامرات العاطفية لولي العهد وشقيقه إلى عمليات الاختلاس السياسية والمناقشات البرلمانية وهكذا دواليك، وحتى الرسوم التي كانت تملأ هذه الواجهات والتي كان الجمهور

يتجمع لمشاهدتها وجدت صداها لدى هؤلاء الرسامين، ففي أحد رسوم «غيلري» يصور الرسام منظرًا كوميدياً لرجل سد عليه جَمْعُ المتفرجين على الرسوم الكاريكاتيرية الطريق فتزحلق وتسقط نقوده من جيبه (الشكل 90) وفي رسم آخر للرسام «فودفارد» يصور الفنان قِسًّا من الضواحي وضابطاً عثرا على صورتيهما وسط رسوم الكاريكاتير الكثيرة المعلقة على الحائط (الشكل 91) وعندما يُعبر القسيس للضابط عن امتعاضه لوجود صورته بين الصور المعلقة، يرد الضابط ببرودة أعصاب: (لا تفعل يا صاح ففي لندن لا يجب أن يدهشك شيء، أنظر إلى هنا، أقسم أنهم صوروني بيزة مجند ومع ذلك فأنا هادئ تماماً لأنهم لا يصلحون لشيء إلا للسخرية من الناس).

ومن بين رسوم «رولاندسون» الكثيرة، يمكن أن نشير إلى مجموعة رسومه (حراس النظام) التي انتقد فيها «رولاندسون» الفساد السائد في أجهزة الدولة، والذي طال حتى جهاز العدالة والقانون، ومن هذه الرسوم يمكن أن نشير إلى رسمه الذي يصور فيه انتشار الرشوة في المحاكم حيث نرى في الزاوية اليمنى من الرسم كيف يقوم أحدهم بدس النقود في يد القاضي الذي يتسلمها بكل سرور (الشكل 92) وفي رسم آخر من نفس المجموعة يصور الحارس الليلي يجوب الشوارع بفانوسه ولكن دون أن يلاحظ شيئاً فخلفه (على اليمين) عاهرة حصلت على زبون ومن الجهة المقابلة (على اليسار) إثنان من اللصوص أحدهم يثبت السلم بينما يصعد الثاني إلى نافذة في طابق علوي والجميع لا يعيرون انتباهها للحارس (الشكل 93).

وفي رسم له (الجميع يصلحون أن يكونوا ضباطاً) يسخر «رولاندسون» من السعي الزائف وراء الألقاب والمراتب وربما يريد الفنان إن يقول إن ما كل من لبس التاج ملكاً حيث أن الشخص الذي يرتدي بزة الضابط في الرسم شخص قميء المنظر قصير القامة سيفه أطول من قامته مترهل الجسد وليس فيه شيء من سيماء الضابط (الشكل 94) وفي نفس الوقت فان «رولاندسون» في

هذا الرسم ينتقد أيضا الوضع المزري للجيش البريطاني وهذا ما سنتحدث عنه في مكان لاحق من هذا الكتاب.

وفي رسمه (على طاولة القمار) يصور «رولاندسون» العواقب الوخيمة لنهاية مثل هذه الألعاب ويحاول رصد انفعالات كل واحد من اللاعبين والمتفرجين فترى ملامح اليأس على الخاسر، وعلائم الشماتة والفرح على وجه الرابح، وعلائم رباطة الجأش والحذر على مدير الطاولة وعلائم الخوف والفضول على وجوه المتفرجين (الشكل 95).

وفي رسومه التي تشكل مجموعة تحت عنوان (صرخات لندن) يصور «رولاندسون» سمة النصب والغش والخداع التي أخذت تسود حياة الناس ومنها رسمه (هل ترغبون شراء غبار القرميد) (الشكل 96) ورسمه (اشترؤا مصائد للفئران) الذي يصور فيه شخصاً يبيع مصائد للفئران وبنفس الوقت فإنه يحمل أقفاصاً تحتوي على فئران يرمي بها هنا وهناك (الشكل 97) وفي رسمه (الجزار) يدخل «رولاندسون» إلى مجاهل النفس البشرية حيث يصور ذلك الجزار الذي كانت مهمته الوحيدة تقطيع اللحم وذبح الحيوانات والذي اعتاد على هذا العمل فقط فأصبح هدفه الوحيد في الحياة. ففقد بذلك ملامحه البشرية واكتسب مكانها ملامح وحشية ارتسمت على وجهه بشكل واضح (الشكل 98).

ويصور رولاندسون في وقت واحد باعتقادنا حالتين من الحالات الإنسانية في رسمه (الحذاء يعالج زوجته الفاجرة) فمن ناحية يصور حالة اليأس التي توصل إليها عملية الفجور الأشخاص المقربين من الفاجر، مما يفقدهم أحاسيسهم ويجبرهم على الإقدام على تصرفات قاسية كرد على الفجور، ومن ناحية ثانية فهي تصور الطبيعة البشرية القاسية بشخص الحذاء من جهة وبشخص المرأة التي ترفع الشمعة منيرة للحذاء والتي تبدو معالم الارتياح واضحة على وجهها من جهة ثانية، ويفسر بعض النقاد اللوحة على أنها تسخر من الطب في ذلك الزمن

ولكننا لا ترى أساساً لذلك (الشكل 99)، (للفنان رسوم أخرى في مواضيع مختلفة موجودة في الكتاب، أنظر الأشكال 100 — 101 — 102).

ومن بين الرسامين الإنكليز البارزين كذلك يمكن الإشارة إلى الفنان «غيلري» الذي كانت تحمل الكثير من رسومه طابع الانتقاد، وقد عالج بشكل خاص الموضوعات الاجتماعية وانتقد الظواهر الاجتماعية السلبية، ففي رسمه (البصارة) يصور «غيلري» مجموعة من النساء العجريات يقرأن الكف لجنديين إنكليزيين، وبينما يصغي الجنديان باهتمام تقوم إحدى العجريات بنشل محتويات جيب أحدهما بينما يقوم صبي عجري مختبئ على غصن شجرة بنشل محتويات كيس فوق ظهر حصان أحدهما، وينتقد الرسام هنا ظاهرة اللصوصية والخداع وظاهرة المغفلين في آن معا (الشكل 103). وقد برز «غيلري» بشكل خاص في فترة حملة العداء لنابليون حيث كان له فيها نصيب الأسد. (من أعمال «غيلري» أنظر كذلك الأشكال 104 — 105 — 106).

وكان «نيكسون» كذلك ينتقد المظاهر الاجتماعية المختلفة إضافة إلى الموضوعات الفكاهية التي كان يعالجها، ومن رسومه نذكر (تمرين لحبي مسرحيات جين شور) والتي على ما يبدو كانت مملحة، ففي وسط الرسم امرأة تمثل فقيرة من مسرحية وأما المتفرجون فهم رجل يغازل امرأة، وقربه رجل آخر نائم، وخلف الطاولة يجلس رجل شاود الدهن وأشخاص آخرون يتشاءمون أو يقومون بحركات أخرى توحى بأنهم لا يتابعون التمثيل أبداً.

أما «نيوتن» الذي عاش 21 عاماً وكذلك «بانيري» و «فغستيد» فإنهم لم يخرجوا أيضاً عن هذا الإطار ويمكن القول عنهم نفس ما قيل عن الفنانين السابقين أعلاه. (أنظر الشكل 107 من رسوم نيوتن)، و (الشكل 108 من أعمال «بانيري»).

أما «فودفارد» فقد تميز برسم الوجه ولعله من أوائل رسامي الكاريكاتير البورتريه، إضافة إلى كونه عالج موضوعات اجتماعية مختلفة أخرى اتسمت

بالجراحة والانتقاد اللاذع ومن رسومه في هذا المجال تجدر الإشارة الى مجموعة
رسومه المسماة (التنبؤات أو الضرائب القادمة) (الشكل 109) والتي يصور فيها
جامع الضرائب في أوضاع مختلفة وفي كل رسم حوار بين الجاني والمواطن
مضمونها كآلي:

الرسم الأول (جامع الضرائب: بما أن الصيف في أوجه فقد
حضرت لأحصى كل البق الموجود
عندكم).

الرسم الثاني (جامع الضرائب: يجب أن تعلموا أن القطط وطيور
الكناري من مظاهر الترف المترلي
وهي لذلك تدخل في قائمة المواد
الخاضعة للضريبة).

المـــــــرأة: أوه يا حيواناتي المسكينة، من كان
يظن بانني سأعيش حتى أرى هذه
القضائح).

الرسم الثالث (جامع الضرائب: أنت تخالف القانون، وليس لديك
الآن أي مبرر للتهرب من الضريبة
فها أنا للمرة الثانية في نزهتي أراك
تمارس نفس العمل فأين الموافقة)،
(الرجل الجالس يدخن — المؤلف)
الرسم الرابع (جامع الضرائب : أنفك كبير جداً ويجب أن تدفع
ضريبة.

الرجل: أنت إنسان وقح للغاية).

الرسم الخامس (جامع الضرائب: إن لديك من وسائل الترف
الكثير، فمناديل الجيب تخضع

للضريبة.

الرجل: الا يكفي أنكم أزكمتم أنوفنا؟،
وتريدون المناديل أيضاً).

الرسم السادس (جامع الضرائب: يجب أن تدفعوا الضريبة على
جلودكم).

الرسم السابع (جامع الضرائب: يجب أن تدفع الضريبة على
جلدك).

الرجل: إذا لم تخرج من بيتي أيها النذل
فسأسلخ جلدك).

ومن رسوم «فود فارد» التي يصور فيها الوجوه يمكن كذلك ذكر مجموعة
رسومه (الأقزام) والتي يصور فيها أغلب الظن أشكال أشخاص يعتقدون
بخرافات معينة إذ يرفقها بالإهداء التالي: (مع التحية إلى هواة الشياطين الزرقاء
وما شابه من الأمور الضبابية) (الشكل 110).

ومن الرسامين الإنكليز البارزين يمكن كذلك الإشارة إلى الفنان الإنكليزي
«كروكشانك» (1792 — 1878م) الذي اشتهر بالرسوم الساخرة التي نفذها
للأعمال الأدبية ورسومه الكاريكاتيرية السياسية والاجتماعية التي صور فيها
حياة الطبقات الإنكليزية المختلفة وصور أحداث الثورة الإيرلندية عام 1798
وسخر كذلك من «نابليون بونابرت» والملك «جورج» الرابع.

إن أعمال هذه المجموعة من رسامي الكاريكاتير شكلت بدون شك قفزة
نوعية في مجال تطور الكاريكاتير حيث تحول الكاريكاتير بفضلهم إلى فن مستقل
وتبلور أحد أنواعه الذي هو الكاريكاتير الاجتماعي ووضع حجر الأساس
لنوعه المؤثر الذي هو الكاريكاتير السياسي الذي تطرق إليه الفنانون المذكورون

ولكن في إطاره الاجتماعي مثل رسم «رولاندسون» الذي تطرقنا إليه (القضاة) حيث أن هذا الرسم رغم محتواه السياسي كانتقاده لأجهزة السلطة، إلا أنه يبقى في إطار اجتماعي حيث الهدف لفت الأنظار والإصلاح، ومعنى آخر فإنه ليس طرفاً في صراع سياسي كما سنرى في الكاريكاتير الفرنسي.

لقد كان الفرنسيون أول من استخدم السياسة كموضوع مباشر للكاريكاتير، وإن كان هذا الأمر قد حدث قبل ذلك بشكل محدود، كما حصل في حرب الإصلاحات الدينية ضد الفاتيكان. ولكن هذا النوع آنذاك لم يتبلور إذ أنه اكتفى بالظهور أيام الأزمات ثم عاد للاختفاء على عكس ما هو في فن الكاريكاتير الفرنسي.

ففي فرنسا ونتيجة للصراع الاجتماعي والسياسي الحاد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر ظهر عدد كبير من رسامي الكاريكاتير وصحف الكاريكاتير التي ساهمت في هذا الصراع وأعطت للكاريكاتير السياسي صفة الديمومة. ومن هؤلاء الرسامين كان «ترافيس» و«غافارني» (1804 - 1866م) و«غرانفيل» (1803 - 1847م) و«دوريه» (1832 - 1883م) و«دوميه» (1808 - 1883م) الذي يحتل رأس القائمة بدون منازع.

لقد كان «دوميه» فناناً ورسام كاريكاتير قديراً أخذ بممارسة الكاريكاتير السياسي بعد ثورة 1830 وعمل في مجلة (كاريكاتير) التي أسسها «شارل فيليبون» عام 1830م ثم في مجلة (شاريفاري) التي أسسها «شارل فيليبون» أيضاً عام (1832م) وسخر في الكثير من رسومه من ملك فرنسا «لويس فيليب» وكذلك من وزراء الحكومة ومن مندوبي البرلمان الذين صور الكثير منهم في مجموعة رسوم وتماثيل سماها (الأقنعة)، وفي رسمه (الكرش التشريعي) عن البرلمان عام 1834 وفي الكثير من رسومه الأخرى هاجم تقييد الحريات السياسية وظاهرة الاعتقال السياسي ومن هذه الرسوم على سبيل المثال رسمه (إنه لم يعد خطراً

ويمكن إطلاق سراحه) والتي يصور فيه طيب السجن يعاين سجيناً ميتاً أو على وشك الموت ويقول العبارة المذكورة (الشكل 111) وعندما منع الكاريكاتير السياسي في فرنسا عام 1835م لجأ «دوميه» إلى ممارسة الكاريكاتير الاجتماعي ونفذ عدداً كبيراً من الرسوم صور من خلالها الحياة الاجتماعية في فرنسا من جميع نواحيها، حيث قام بنشر عدد كبير من السلسلات التي منها (روبير ماكير) (1840 - 1841م) التي رمز من خلالها إلى الأرستقراطي المحتال ومدعي السياسة. وفي الكثير من هذه السلاسل سخر دوميه من الانحطاط الأخلاقي والوقاحة والغرور والمكر وضيق الأفق التي اتسمت بها الطبقة الأرستقراطية آنذاك، فسخر من القانون الفرنسي في سلسلة (رجال القانون) 1845م، وفي سلسلة (محامون ومدافعون) 1851م سلسلات كثيرة غيرها. وإضافة إلى «دوميه» يمكن ذكر الفنان الفرنسي «غوستاف دوريه» الذي اشتهر أول ما اشتهر برسومه (جماهير باريس المتنوعة) و (حديقة حيوان باريس) والتي نشرها في مجلات ساخرة بين أعوام 1840 و 1850م، كما قام بتنفيذ الكثير من الرسوم لمؤلفات «سرفانتس» و«بلزاك» و«دانتي» وغيرهم وكان لها دورها الفعال في الكاريكاتير السياسي كما سنرى.

وكذلك الرسام الفرنسي «غرانفيل» الذي تطرق في رسومه إلى حياة الطبقة البورجوازية وانتقدها في رسوم كثيرة منها سلسلة نفذها عام 1827م وأسمها (يوم أحد في حياة بورجوازي فرنسي) وفي سلسلة أخرى باسم (لكل سن أفراحه)، وفي عام 1830م عندما صدرت مجلة (كاريكاتير) كان «غرانفيل» إلى جانب «دوميه» من الرسامين البارزين على صفحاتها، وكذلك الأمر عندما صدرت (شاريفاري) عام 1832م، وكان أصحاب البنوك والمدراء من أهدافه المفضلة وبعد منع الكاريكاتير السياسي عام 1835م تحول «غرانفيل» إلى تنفيذ الرسوم للأعمال الأدبية والتي منها رسومه لـ (رحلات أوليفر ومغامراته) لـ«سويفت» ورسوماته لـ«روبنسون كروزو» لـ«ديفو»، ومن رسومه المشهورة في مجال الكاريكاتير الاجتماعي سلسلته (المتبدلون المعاصرون) والتي

كان أبطالها من الحيوانات. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر إلى الوجود رسامون فرنسيون جدد منهم على سبيل المثال «تولوز لوتريك» (1864 — 1901م) و«كاران دي اش» و«ستينلين» الذي نذكر من أعماله الكاريكاتيرية (الجمهورية الاجتماعية) التي نفذها عام 1894م، ورسميه (اليوم) و(غدا) اللذين نفذهما عام 1894م أيضاً ويصور فيهما فلاحاً وفلاحاً يحرق المحراث وفلاح آخر يقوده وإقطاعي يراقبهم في اللوحة الأولى، وفلاحاً يضرب على رأس الإقطاعي فيغرقه في الأرض في اللوحة الثانية (الشكل 112) و(الشكل 113). كما وظهر في فرنسا فنانون آخرون سنلتقي بهم وبأعمالهم على صفحاتنا اللاحقة، نذكر منهم «بيلوتيل» الذي نذكر من لوحاته (مالك البيوت في أيام كومونة باريس) والتي نفذها عام 1871م ويصور فيها رجلاً بديناً عجوزاً يتسول وعلى صدره لوحة كتب عليها: (لا تنسوا هذا المالك الفقير الذي عنده ستة بيوت فقط ومستأجرون لا يدفعون).

وفي روسيا يمكن كذلك التنويه إلى عدد لا بأس به من الفنانين الذين مارسوا فن الكاريكاتير ومنهم «ألكسندر أرلوفسكي» (1777 — 1832م) الذي كان فناناً تقليدياً، مارس السخرية في عدد من رسومه واتبع تقنية الرسم بالألوان الزيتية على القماش حتى في هذه الرسوم التي نذكر منها لوحته (نابليون على جزيرة القديسة هيلانة) (الشكل 114) والتي قام بتنفيذها 1823م على إثر الاجتياح الذي قام به نابليون لروسيا عام 1812، ويمكن القول إن حروب نابليون كان لها تأثير عظيم على تطور فن الكاريكاتير في روسيا، إلى جانب الحروب الأخرى التي خاضتها روسيا مثل حرب القرم وغيرها والتي ظهر على إثرها قائمة طويلة من الفنانين الساخرين منهم «ألكسندر فينتسيانوف» (1780 — 1847م) الذي صور إضافة إلى موضوع نابليون أيضاً حياة الفلاحين الروس في لوحات كثيرة منها (على البرج) التي نفذها عام 1820م، و(زاخاركا) التي نفذها عام 1825. والفنان «إيفان تيريبينوف» (1780 — 1815م) الذي كان نحاتاً إلى جانب كونه

رساماً والذي مارس الكاريكاتير بشكل خاص بين عامي 1812 — 1815 أي في الفترة التي اجتاحت فيها نابليون روسيا وفي الفترة التي أعقبتها. وكذلك الفنان الروسي «شميلكوف» (1819 — 1890م) و«سـيروف» (1865 — 1911م) و«فيدوتوف» (1815 — 1852م) وإلى الفنان «ستيبانوف» (1807 — 1877م) والذي يتربع بدون منازع على قمة الهرم الكاريكاتيري الروسي.



الشكل (90)،

(زلقة للغاية)،

«غيلري»، 1808م.

As nice as I am Parson Puzzle. Text they have clapped me up ■
in Great Britain. I have a great mind to break the window.

I am a very naughty boy. you should not be surprised at any thing
in London. My lord, ye have I believe they have got me too. in my
character to perform. but ■ how greatly I like it & they like to see
me as a professor...



الشكل (91)

من سلسلة (رسوم كاريكاتيرية فكاهية)، «فرد فارد»، 1806م.



الشكل (92)،

من سلسلة (حملة القانون) «رولاندسون»، 1796م.



الشكل (93)،

(الحارس الليلي)، من سلسلة (حياة القانون)، «رولاندسون»، 1796م.



الشكل (94)

(الجميع يصلحون أن يكونوا ضباطاً)،

« رولاندسون»، 1806م.



الشكل (95)

(على طاولة القمار، أو لعبة الزهر)

«رولاندسون» 1790 م .



الشكل (96)

(هل تشترون غبار القمر؟)

من سلسلة (صرخات لندن)، «رولاندسون»، 1799م.



الشكل (97)

(اشترى مصادق الفئران)

من سلسلة (مخترعات لندن)، «رولاندسون»، 1799م.

وقد الفنّانين الألمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يمكن الإشارة إلى الفنّان «فيلهلم بوش» (1832 — 1908م) الذي عالج في رسومه موضوعات اجتماعية ودينية بشكل ساخر ومن رسومه (هيلينا الورعة) التي نفذها 1872. وكذلك الفنّان الألماني «غينريخ تسيلي» (1858 — 1929م) الذي صوّر في رسومه الظواهر الاجتماعية السلبية، وصور حياة بؤساء برلين وأسس مجلة (ايلنشيغل) عام 1928م. وكذلك إلى الفنّان «كيّ كولويتس» (1867 — 1945م) الذي صور في رسومه أعمالاً تاريخية، مثل سلسلة رسومه التي نفذها لتصوير أحداث الحرب الفلاحية الألمانية عام 1903 — 1908م وسلسلة رسومه التي تصور انتفاضة عمال النسيج، والتي نفذها عام 1897 — 1898م.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ازدهر الكاريكاتير بشكل سريع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بسبب الأحداث العاصفة التي مرت بها، وكذلك بسبب رفض الولايات المتحدة المستمر بالرسامين الأوربيين المهاجرين إلى أمريكا.

ومن الفنّانين الأمريكيين يمكن ذكر الفنّانين (دوف) و (أموس دوليتل) اللذين ليس هناك معلومات عن تاريخ ولادتهما وتاريخ وفاتهما، و«ويليام تشارلز» (1776 — 1820م)، و«أدوارد كلي» (1799 — 1857م) و«جوزيف كيلر» (1838 — 1894م) و«فريدريك أوبر» (1857 — 1902م) و«توماس ناست» (1840 — 1902م) وغيرهم من الرسامين الذين عالجوا قضايا اجتماعية مختلفة وخاضوا في المواضيع السياسية بشكل قوي، ومن الرسوم التي يمكن ذكرها في المجال الاجتماعي يمكن التطرق إلى أحد الرسوم الطريفة لـ «توماس ناست» والذي سماه (الذين ينتظرون العاصفة) والذي كان واحداً من رسومه الموجهة لمحاربة الفساد والرشوة المتفشية في أجهزة الحكم، والتي كان بطلها دون منازع محافظ «نيويورك» (تويد) والذي نشره في مجلة (أسبوعية هاربر) في 22 حزيران 1871م حيث يصور المحافظ «تويد» والأشخاص المتعاملين معه على

شكل طيور عجيبة برؤوس بشرية يجلسون على حافة هاوية سحابة بانتظار العاصفة، وفيه يُظهر «ناست» ملامح الغباء في وجه المحافظ وملامح الحبث والدهاء في وجوه أنصاره (الشكل 115). وكذلك يمكن الإشارة إلى رسم «كيبلى» (أهلاً وسهلاً) والذي يصور فيه الفنان «العم سام» الذي كان الوجه الخير لأمريكا في ذلك الوقت، يدعو جمعاً من الناس من مختلف الجنسيات إلى صعود سفينة، نصب عليها العلم الأمريكي (الشكل 116) وهو من الرسوم الكاريكاتيرية الودية. وكذلك إلى رسم «كلي» (الغاء بنك الولايات المتحدة) الذي سنتطرق إليه لاحقاً بشكل مفصل (الشكل 117). أما في الوطن العربي فإن فن الكاريكاتير ظهر إلى الوجود في بداية القرن العشرين ولم يشتد عوده إلا في أواسط القرن العشرين، حيث أصبح له جمهوره الواسع وممارسوه من الفنانين. وربما لو بحثنا بشكل عميق لوجدنا رسومات تعود إلى ما قبل القرن العشرين. وأسباب تأخر ظهور هذا الفن عديدة منها الموضوعي ومنها الذاتي، ومن الأسباب الموضوعية التي يمكن الحديث عنها الحالة المتخلفة للوطن العربي في ظل الاحتلال التركي ومخلفاتها، ومن الأسباب الذاتية يمكن التنويه إلى أن فن السخرية عند العرب لاقى رواجه الواسع في الأشكال الأدبية بشكل أساسي وأصبح التوجه نحو السخرية التشكيلية واضحاً فقط في أواسط القرن العشرين كما أسلفنا.

وهكذا يمكن القول: إن الكاريكاتير دخل القرن العشرين فناً متجذراً في الجمهور له شعبيته الواسعة وأخذ لنفسه صدىً لدى أعداد كبيرة من الفنانين، وربما من المغامرة الحديث عن تطور الكاريكاتير في القرن العشرين على المستوى العالمي فقد أصبح عدد الرسامين في هذه الفترة لا يحصى واتسعت مجالات النشر وكثرت الصحف لدرجة يجعل الخوض في مثل هذا البحث عملية محكومة بالفشل مسبقاً، وللقيام بمثل هذا العمل يمكن أخذ كل بلد أو قارة أو منطقة على حدة، والقيام بحث خاص بها ونحن نعتقد أننا تعرضنا لمعظم الأسماء المهمة

في عالم الكاريكاتير إلى القرن التاسع عشر ونكتفي بهذا القدر على أمل التطرق إلى أسماء أخرى من مختلف العصور في الفصل الذي يعالج دور الكاريكاتير في الصراعات السياسية والاجتماعية والذي سيحتل مكاناً لاحقاً من صفحات هذا الكتاب.

ولكننا قبل أن نفعل ذلك لا بد لنا من الحديث ولو بشكل مختصر عن فن (الرسوم المتحركة) الذي يعتبر برأينا أحد الفنون التي تطورت عن الكاريكاتير، بل و ابن الكاريكاتير الشرعي حتى قبل أن يكون ابناً للسينما لأن فن الرسوم المتحركة ظهر كما سنرى قبل ظهور السينما على أيدي رسامي كاريكاتير. أما ظهور السينما فقد جاء ليطور هذا الفن وليس ليظهره إلى الوجود، ولهذا سنقوم باستعراض مختصر لظهور فن الرسوم المتحركة وتطوره عبر التاريخ.



الشكل (98)

(الجزائر) «رولاندسون»، 1790م.



الشكل (99)

(الحذاء يعالج زوجته الفاجرة)، «رولاندسون»، 1809م.



الشكل (100)

(ثكنة فرنسية)

«رولاندسون»، 1791م.



الشكل (101)

(المستشار)

«رولاندسون» 1801م.



الشكل (102)

(الرشوة، أو المقامر والفارس في سياق الخيل) «رولاندسون».



الشكل (103)، (البصارة)، «غيلري»، 1804م.

الشكل (104)
 (على الزاوية قرب البنك،
 أو تربية الآباء)
 «غيلري»، 1797م.

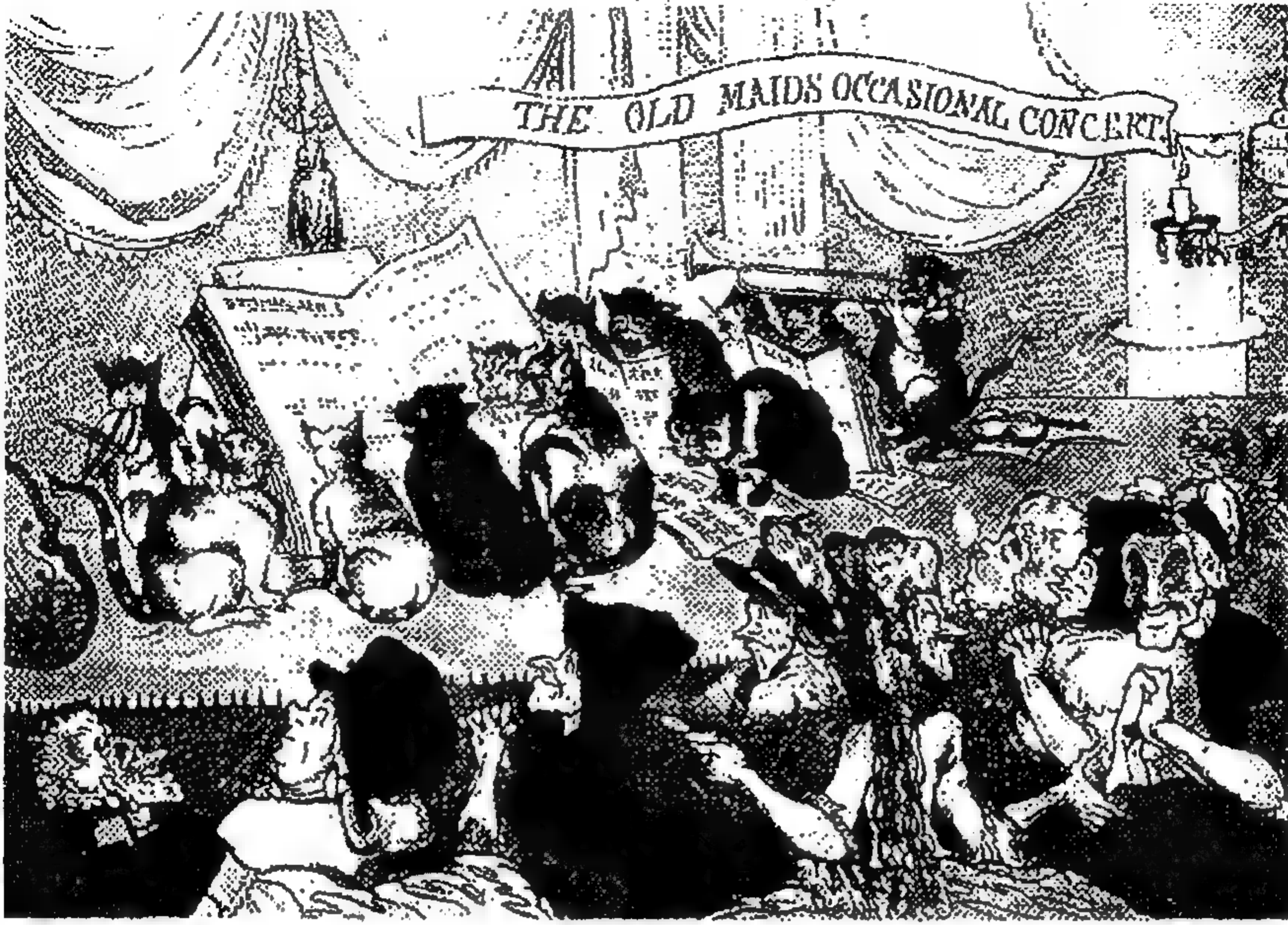


الشكل (105)
 (أفضلية فساتين المسلمين ، أنظروا إلى نساء الموضة في بريطانيا)، «غيلري»، 1802م.



الشكل (106)

(الأبطال يسدون جوعهم في محل الحلويات، أو نقل الحراسة إلى سان جيمس)، «غيلري»، 1797م.



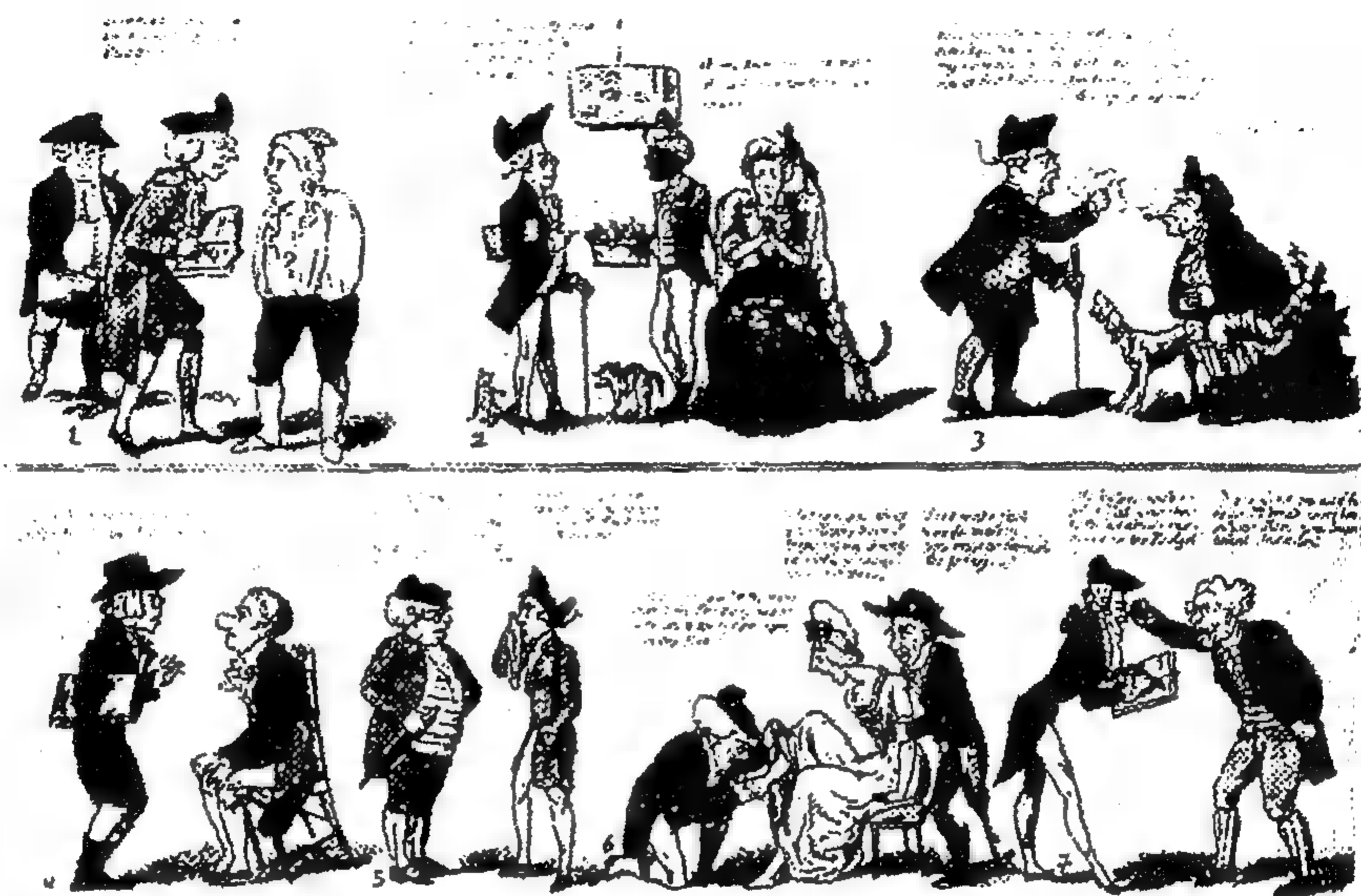
الشكل (107)

(حفلة للعوانس)، «نيوتن»، 1795م.



الشكل (108)

(قصة طويلة)، «بانيري».



الشكل (109)،

(التبؤات، أو الضرائب المقبلة)، «فودفارد»، 1799م.



الشكل (110)، (مجموعة الأقزام)، «فودفارد»، 1796م.



الشكل (111)

(هذا يمكن إطلاق سراحه، فهو لم يعد خطراً)

«دوميه»، 1834م.



الشكل (112)، (اليوم)، «ستينلين»، 1894 م.



الشكل (113)، (غدا)، «ستينلين»، 1849 م.



الشكل (114)

«نابليون بونابرت» على جزيرة القديسة هيلانة.

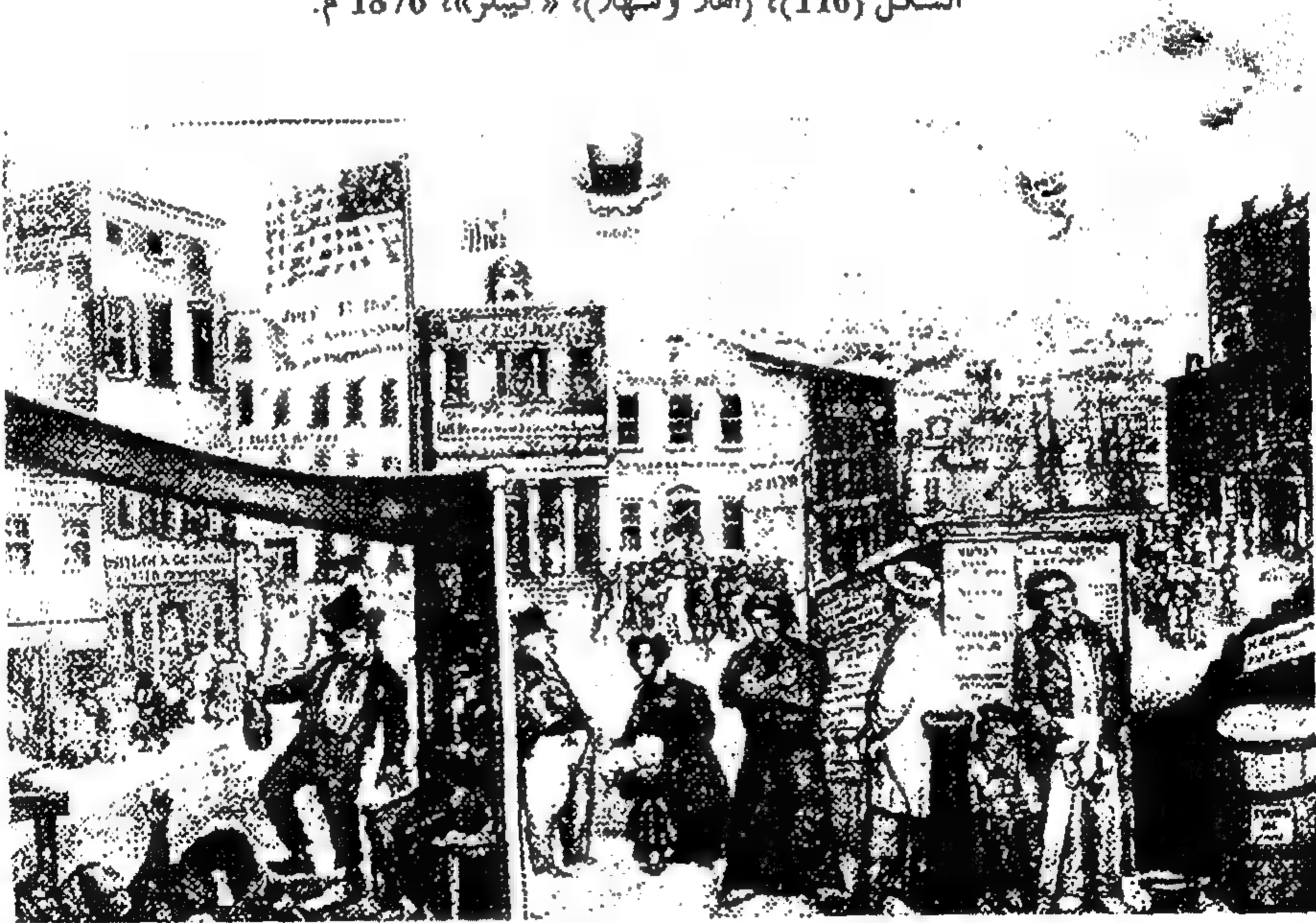
«أرلوفسكي»، 1823 م.



الشكل (115)، (الذين ينتظرون العاصفة)، «ناست»، 1871 م.



الشكل (116)، (أهلاً وسهلاً)، «كيبلر»، 1876 م.



الشكل (117)، (إلغاء بنك الولايات المتحدة)، «كلي»، 1840 م.

من تاريخ فن الرسوم المتحركة

إن الكثير من الباحثين في مجال فن الرسوم المتحركة تماماً كما في مجال الكاريكاتير يعتقدون أن لهذا الفن جذوره المغرقة في القدم، ورغم أن بعضهم يؤكد أن بلد الرسوم المتحركة الأم هو فرنسا، فإن هؤلاء الباحثين يؤكدون أنه في السنين الأولى بعد الميلاد كما تشير الدلائل كان هنالك مثل هذا الفن، والذي كان يتمثل آنذاك بألعاب كانت دارجة في بلدان الشرق وخاصة في «كمبوديا» القديمة، وكانت هذه الألعاب تستخدم في مسرح أطلق عليه فيما بعد، مسرح الظل.

كان عدد غير كبير من الممثلين والرواة إضافة إلى مئات المتفرجين يتجمعون على سفح جبل لمشاهدة عرض كان يبدأ مع حلول الظلام ويستمر ساعات طويلة، وكانت المواضيع الأساسية لهذه العروض هي الحكايات الشعبية والأساطير الدارجة، وكانت الرسوم المستخدمة تمثل الآلهة والبشر والحيوانات، وكانت هناك رسوم تمثل المناظر الطبيعية، وكانت هذه الرسوم مصنوعة من جلود الجواميس وكانت تلون بألوان صارخة ويثبت كل واحد منها على عودين من القصب.

كانت أنظار المشاهدين تنشد نحو شاشة بيضاء من الكتان مشدودة إلى أوتاد وتشكل الجدار الرابع لحجرة من ثلاثة جدران أنشئت لهذا الغرض، وعند الحائط المقابل للشاشة من الداخل كانت تتوهج مصابيح باهرة، وبين الشاشة والمصابيح كان المثلون يقومون بحركات راقصة مقررة في العرض، وهكذا كانت ظلال الرسوم تسقط على الشاشة التي كان المشاهدون يتجمعون قبالتها، وإضافة إلى الممثلين فقد كان هناك رواة وموسيقى تصويرية.

وفي مخطوطات تعود إلى أعوام 840 — 907 ميلادي يدور الحديث عن مسرح أشباح هو نفسه مسرح الظل، وكان يدعى (فايانغ — كوليت) وفي هذا المسرح حلت الألعاب المنفذة على جلود الجواميس أيضا محل الرسوم، حيث كان الرأس والأطراف في هذه الألعاب موصولة إلى الجسد بمفاصل تسمح لها بالحركة وكانت هذه الألعاب تضغط على شاشة بيضاء من الخلف ويتم تحريكها بعيدان ثبتت إليها خصيصا لهذا الغرض (الشكل 118) وكانت المساحة التي يحتلها الشكل تظهر من الجانب الآخر سوداء، وهذه العروض أيضا كانت ترافق بالموسيقى التصويرية وأحاديث الرواة. وهذا النوع من المسرح لا يزال مستخدما حتى عصرنا الراهن.



الشكل (118)

إحدى الدمى المستخدمة في مسرح، «فايانغ كوليت».

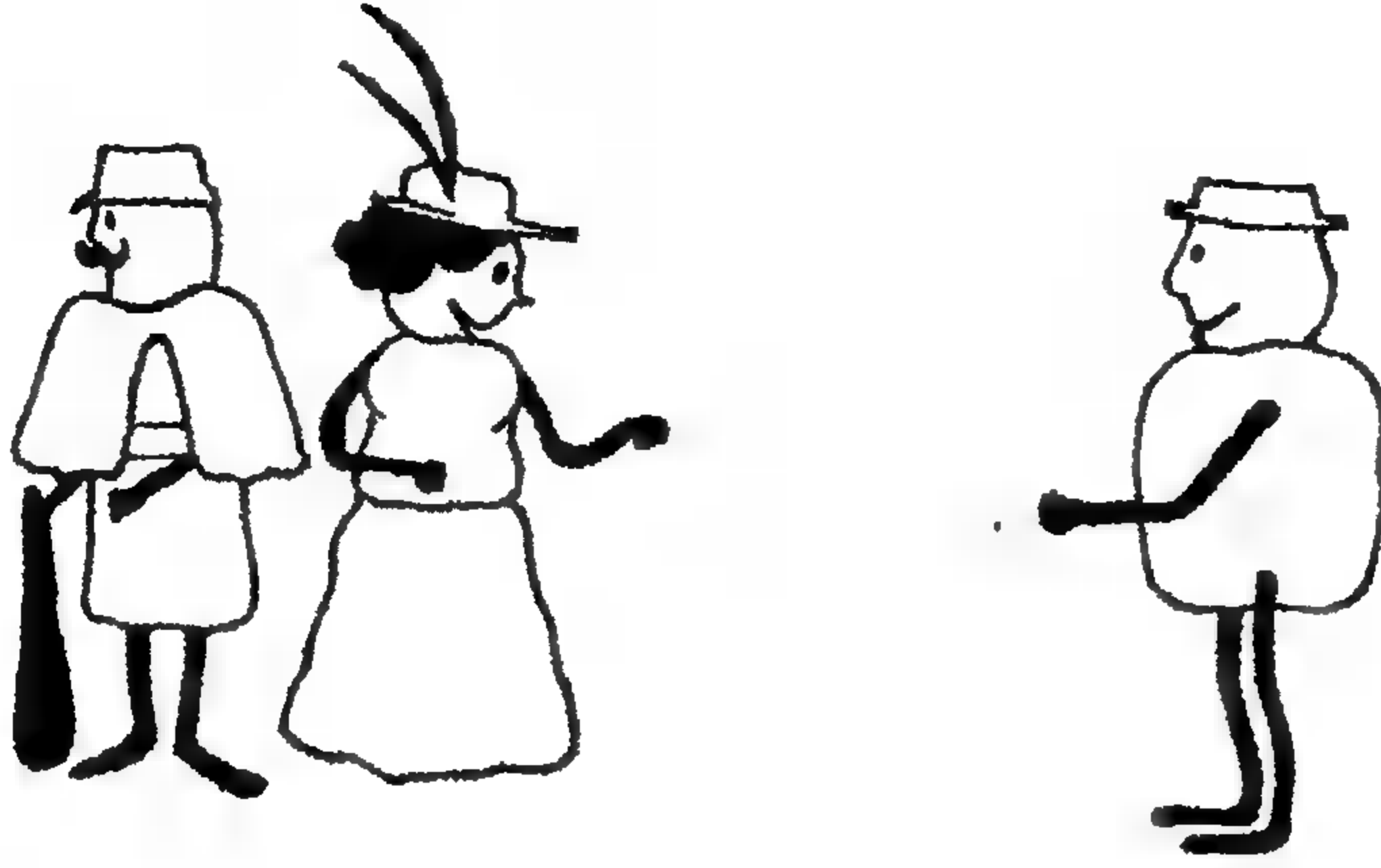
ولكن بغض النظر عن الأساس الذي ربما وضعت هذه الألعاب لفن الرسوم المتحركة، إلا أنها مع ذلك لا تعتبر نوعاً من الرسوم المتحركة تطورت عنها أفلام الرسوم المتحركة المعاصرة.

وأول خطوة في هذا المجال تعود للعالم الفيزيائي البلجيكي «بلاتو» الذي قام في عام 1832م بصناعة آلة لاختبار ظاهرة الاستمرار البصري فصنع ألواحاً كرتونية أسطوانية الشكل على كل منها من 10 إلى 20 رسماً متتابعة الحركة لخيول أو بشر، وكان هذا اللوح يثبت على محور له مقبض يسمح بإدارته باتجاه عقارب الساعة أو بعكس اتجاهها، وأمام اللوح كان يثبت لوح آخر على شكل جدار بين الأسطوانة ومراة وكانت تدار الأسطوانة فتعكس الرسوم المتتالية على صفحة المراة وتوحي بأن هناك حركة تدور. وهكذا يمكن القول إنه ظهر إلى الوجود فن يدعى فن الرسوم المتحركة، وكانت العروض لفترة تقدم بهذه الطريقة الساذجة مما دفع للقيام بمحاولات لتطوير هذا الجهاز فقام الإنكليزي «هورنير» في عام 1834م باستعمال الأشرطة التي تتسع لمئات الرسوم بدلا من الألواح الكرتونية المذكورة، ومع أن هذا الاختراع كان تطوراً واضحاً مقارنة مع الاختراع الذي سبقه، إلا أنه لم يجد انتشاراً واسعاً وذلك لضعف استيعابه للرسوم «الغرافية» على سطحه وصعوبة تنفيذها على مساحاته الضيقة. وفي عام 1840م قام النمساوي «يوهانستوس» بصناعة جهاز يشبه جهاز العرض السينمائي المعاصر حيث كانت الرسوم تنفذ على شريط شفاف يمر بسرعة من أمام فتحة مضيئة وتسقط الرسوم على شاشة مقابل الفتحة، وهكذا ظهرت أولى أشكال الرسوم المتحركة التي تسقط على شاشة، إلا أن هذا الجهاز أيضاً كان يفتقر إلى القدرة العملية مما ترك الباب مفتوحاً للبحث عن اختراعات جديدة.

وأخيراً وفي عام 1877م قام الفنان الفرنسي الموهوب «إميل رينو» بعرض اختراعه البصري الذي سمي (تراكسينوسكوب)، وفي هذا الوقت كانت قد ظهرت مواد حساسة للضوء كانت تطلّى على صفائح مرنة شفافة والتي تطور عنها التصوير فيما بعد، فقام «إميل رينو» بتنفيذ عدة مئات من الرسوم على هذه الأشرطة الحساسة للضوء، وكان كل رسم يتمم الرسم الذي قبله، وكانت الرسوم في جهاز «رينو» توصل بوصلة من اليمين إلى اليسار إلى أسطوانة كانت تثبت على محورها عدسة موشورية كانت الرسوم تسقط عليها متتابعة ومنها كانت هذه الرسوم تنبعث إلى شاشة العرض.

إن هذه الرسوم الصامتة التي كانت مدة عرضها تستمر من 7 إلى 15 دقيقة هي في حقيقة الأمر أولى أفلام الرسوم المتحركة كما يؤكد الكثيرون، ومخترعها الفرنسي «إميل رينو» يعتبر مخترع فن الرسوم المتحركة، وعام 1877م هو عام ظهور الرسوم المتحركة إلى الوجود.

وقد جاء اختراع الأخوين الفرنسيين «لومير» لآلة التصوير السينمائي في عام 1895م ليخدم بشكل كبير تطور فن الرسوم المتحركة، لأن هذه الآلة أعطت المجال لتصوير الحركات المتتابعة للهدف المصور على شريط التصوير نفسه، وكان أول من استخدم الآلة لإنتاج فيلم من الرسوم المتحركة هو الفنان الفرنسي «إميل كول»، وكان اسم هذا الفيلم (مغامرات البانتوشيين) (الشكل 119) حيث قام «كول» برسم صورة خاصة لكل كادر في الشريط تبعه برسم آخر يشبه الرسم الذي قبله مع إضافة واحدة تختلف عنه هي الحركة التالية للرسم الذي قبله، وقد تطلب فيلمه الذي بلغت مدته الدقيقتين ما يقارب الألفي رسم. إن هذا العمل كان في الحقيقة من الأعمال المضيئة وتطلب الكثير من الجهد والصبر، إلا أن هذا الجهد لم يذهب سدى حيث دخل اسم «كول» التاريخ كمؤسس لفن الرسوم المتحركة السينمائي.



الشكل (119)

(أبطال فلم الرسوم المتحركة)، لـ «إميل كول».

إن (مغامرات البانتوشيين) لـ «كول» أثارت الاهتمام بالرسوم المتحركة لدى الكثير من الفنانين والمخرجين، فأخذوا بالبحث عن الطرق والأساليب لتطوير هذا الفن ودفعه إلى الأمام وهكذا قام الأمريكي «ستيوارت بليكتون» ولأول مرة بتصوير فيلم رسوم متحركة يعتمد الأشكال المحجمة وكان اسم الفيلم (فندق الأشباح) كما قام بإنتاج فيلم يعتمد الرسوم سماه (الريشة السحرية الخالدة). وهكذا فإن أفلام الرسوم المتحركة أخذت تلقى شعبية واسعة في مختلف بلدان العالم وعلى الأخص بلدان أوروبا، ولأن العمل في الرسوم المتحركة كان يتطلب جهوداً كبيرة وترافقه صعوبات كثيرة فقد أخذ المتحمسون لهذا الفن في البحث عن سبل جديدة لتسهيل العمل في الرسوم المتحركة وتقليل كمية الرسوم المطلوبة، وأول مكسب في هذا المجال كان التوصل إلى إمكانية التصوير باستخدام الأشكال الملساء، والتي كان يتلخص محتواها بالتالي: كانت الأشكال تصنع من الورق المقوى مع مفصلات مخفية كانت توضع من الجانب

الخلفي للرسم وكانت هذه الأشكال تصور ويتم تغيير الوضعية يدوياً قبل التقاط كل كادر، وهذه الطريقة مازالت تستخدم حتى الآن كأحدى أساليب إنتاج الرسوم المتحركة.

لقد لاقى فن الرسوم المتحركة تطوره اللاحق في الولايات المتحدة على يد الفنان الشهير «وولت ديزني» في العشرينات من القرن العشرين، حيث قام الفنان «وولت ديزني» بتقسيم الرسم إلى قسمين أحدهما ثابت والآخر متحرك، وكان القسم الثابت هو الخلفية أو الديكور في الفيلم وكان عادة يستخدم في عدة أفلام، أما القسم المتحرك فيتألف من الرسوم التي تمثل أبطال الفيلم والتي كان يتم تبديلها بعد كل لقطة، هذه الطريقة وفرت الكثير من الجهود وسهلت العمل في إنتاج أفلام الرسوم المتحركة حيث أصبح الرسام بغنى عن إعادة رسم الخلفية في كل رسم من الرسوم، وعدا عن ذلك فقد أفسحت هذه الطريقة المجال لاستخدام الخلفية الملونة واستخدام الكثير من التفاصيل التي كانت تشكل عائقاً وهدراً للوقت بسبب إعادة رسمها في كل كادر قبل ذلك.

ومكان الورق استخدم «وولت ديزني» البلاستيك الشفاف مما سهل إلى درجة كبيرة عملية نسخ الرسوم وقسم الفنانين العاملين في الرسوم المتحركة إلى قسمين: قسم يرسم الخلفية وقسم يرسم الأبطال. وقد قام «وولت ديزني» كذلك بإنتاج نوع جديد من الأفلام القصيرة ذات المحتوى الكوميدي مستخدماً المبالغات الكاريكاتيرية، والحركات التي تترك انطباعاً كوميدياً، وكذلك المفارقات غير المتوقعة في أحداث الفيلم. وقد ألف «وولت ديزني» أكثر من 600 فيلم رسوم متحركة، من بينها (فتاة الثلج والأقزام السبعة) و(الخنازير الصغيرة الثلاثة) و(بينوكيو) و(بيمي) و(السيدة والمشرود) و(كتاب الغابة) وغيرها ويعتبر «ميكي ماوس» واحداً من أشهر أبطال «وولت ديزني» بل أشهر شخصية مسن شخصيات الرسوم المتحركة في العالم، ولا تزال تقنيات «وولت ديزني» تستعمل حتى أيامنا هذه.

أما أول فيلم استخدم الدمى فيعود للروسي «فلاديسلاف ستاريفيتش» حيث قام في 1910م بإنتاج فيلم يعتمد على تصوير الدمى والتي كانت كذلك تحرك في كل لقطة على حدة وأسمى الفيلم (حرب الخنافس ذات القرون) وكان «ستاريفيتش» عدا عن كونه الفنان الذي صنع الألعاب، مخرجاً ومصوراً وكاتب سيناريو لهذا الفيلم، أي أنه قام بكافة الأعمال المطلوبة لهذا الفيلم وحده. وفي الفترة الأخيرة أصبحت أجهزة «الكومبيوتر» تستخدم بشكل واسع في مجال الرسوم المتحركة وتلاقى الرسوم المتحركة بوساطة «الكومبيوتر» تطورها السريع المرافق لتطور هذا العلم وليس من المستبعد أن يقوم «الكومبيوتر» في المستقبل باستبعاد كافة التقنيات المستخدمة حتى الآن والحلول محلها كلياً وذلك للسهولة والسرعة التي ترافق إنتاج أفلام الرسوم المتحركة بمساعدة «الكومبيوتر».

ولا تقتصر أفلام الرسوم المتحركة على الأطفال، فهناك كمية كبيرة من أفلام الرسوم المتحركة الموجهة للكبار وفي موضوعات كثيرة جداً من السياسة إلى الاقتصاد إلى التعليم إلى الرياضة إلى الجنس.. الخ..

الكاريكاتير في الصراعات السياسية عبر التاريخ

إن الكاريكاتير منذ ظهوره كفن مستقل، على أعتاب القرن الثامن عشر انغمر في الصراعات الاجتماعية والسياسية حتى أذنيه كما رأينا إلا أن هذا لا يعني أنه قبل تكون فن الكاريكاتير المستقل لم يكن للتشكيل الساخر علاقة بالسياسة فالكثير من الباحثين يرى أن للرسوم الكاريكاتيرية المصرية التي تطرقنا إليها رموزاً تعبر عن الاحتجاج ضد السلطة في هذا الرسم أو ذاك وإن كنا لن نسعى إلى تحليل هذه الرسوم لدحض هذه الفكرة أو تأكيدها فإننا موافقون على أن لبعض هذه الرسوم هدفاً سياسياً بحتاً، كذلك الرسم الموجود في متحف الكاريكاتير في بريطانيا والذي يسخر فيه الرسام من أخلاق البلاط والذي أشرنا إليه أيضاً.

والرسوم الساخرة منذ بدء التاريخ كانت ترسم أصلاً ليس للإضحاك فقط وإنما لتحقير طرف ما وإن كان التحقير يطال الأقسام الأفاارقة في الرسوم الرومانية والهيلينية بشكل غير مقصود فإن الإغريق كانوا يتقصصون إهانة عدوهم وآلهته من خلال الرسوم الساخرة التي كانوا يزينون بها جدران بيوتهم الخارجية، ويقال إن «بوزون» الذي تطرقنا إليه أيضاً كان من الرسامين الذين ظهرت رسومهم كنتيجة للصراع السياسي الدائر في اليونان والتي يوازيها بعضهم بالسخرية السياسية في كوميديا «أرسطوفان» ويرى أنه كان لا بد من وجود تشكيل سياسي ساخر في ذلك الوقت ورغم أن رسوم «بوزون» لم يتبق منها شيء حتى الآن والمعلومات عنه قليلة وتقتصر على ما ذكر في بعض مؤلفات أرسطو حوله فإننا أيضاً لا نرى ما يجعل هذه الفرضية بعيدة عن الواقع،

وهذا بالتالي يدفعنا إلى التأكيد أن فن الكاريكاتير كان منذ نعومة أظفاره فناً موجهاً يستخدم كسلاح فعال في السياسة وذلك بحكم مضمونه الساخر، ولكننا مع ذلك نؤكد أنه رغم أن الرسم التشكيلي الساخر يمكن أن يكون قد لعب دوراً ما أو ساهم أو تطرق بهذا الشكل أو ذاك إلى السياسة في الحضارات القديمة فإنه ليس هناك ما يؤكد أن الكاريكاتير ترك تأثيره الكبير في مجال السياسة كما هو الحال في النصف الثاني من الألف الثاني بعد الميلاد، حيث أن الكاريكاتير في هذه المرحلة ساهم بنشاط وفعالية في الحياة السياسية والاجتماعية ونادراً ما نعثر على رسم يقصد منه الفكاهة فقط بين الرسوم الكاريكاتيرية العائدة لهذه المرحلة، لأن الكاريكاتير كان يعالج في معظم الأحيان في الموضوعات التي يتناولها الظواهر الاجتماعية السلبية والأوضاع السياسية في هذا البلد أو ذاك إلى أن تحول إلى طرف في الكثير من النزاعات وسلاحاً فعالاً من الأسلحة المستخدمة فيها لا يقل عن الأسلحة الأخرى أهمية إن لم يتفوق عليها كما سنرى.

وأول ما استخدم الكاريكاتير كسلاح سياسي كان في فترة حرب الإصلاحات الدينية التي قادها «مارتن لوثر» ضد الكنيسة الكاثوليكية في «الفايكان»، والذي يقول في أحد أحاديثه داعياً إلى تكريس السخرية كسلاح في هذا الصراع ضد الكنيسة الكاثوليكية: (إن القساوسة والحوارنة يجب أن يُرسموا على جميع الجدران وحتى على أوراق اللعب بشكل يجعل الناس يشعرون بالقرص عندما ينظرون إليهم أو يسمعون عنهم) وهذا ما كان بالفعل، حيث كانت الرسوم الموجهة ضد الكنيسة الكاثوليكية ترسم على الجدران وعلى قصاصات من الورق تعلق على جذوع الأشجار في الطرق التجارية والطرق التي تخترق الغابات وفي كل مكان يمكن أن يتواجد فيه البشر، ويُرجع الكثير من الباحثين انتصار «مارتن لوثر» في هذه الحرب إلى عملية استخدام الكاريكاتير بالذات.

ولعل أشهر الرسوم المنشورة في هذا المجال هو ذلك الرسم الذي يصور البابا على عرش الفاتيكان على هيئة حمار (الشكل 120) وكذلك سلسلة الألمان «لوكاس كراناخ» (1472 – 1553م) (الدجال وانفعالات المسيح) ولم يشتهر «كراناخ» بشكل عام برسومه الساخرة، إلا أنه ربما نفذ هذه السلسلة من الرسوم بسبب صداقته الشخصية مع «مارتن لوثر».



الشكل (120)،

(رسم كاريكاتيري موجه ضد البابا، 1545م).

وهكذا تكون الآمال التي عقدها «مارتن لوثر» على الكاريكاتير قد تحققت.

ولكن الفاتيكان لم يقف مكتوف الأيدي مقابل هذه الهجمات إذ قسام بالدعوة إلى تصوير ممثلي الإصلاحات بنفس الأسلوب، ولكن الفاتيكان لم ينظم العملية كما نظمها «مارتن لوثر» وذلك لعدم رؤيته في الكاريكاتير ذلك السلاح الفعال، إضافة إلى أن التعاطف مع الفاتيكان من قبل الفنانين بشكل عام كان أقل بكثير من تعاطفهم مع «مارتن لوثر»، وربما بسبب الكاريكاتير بالذات، حرم الفاتيكان استخدام المبالغة في رسم اللوحات الدينية في الكنائس.

ومن الصراعات المشهورة التي استخدم فيها الكاريكاتير كانت الثورة الهولندية البورجوازية (1566 — 1609م) والتي كانت أول ثورة بورجوازية في التاريخ، حيث قام الرسامون الهولنديون بالسخرية من الإسبان ومن قادة الجيش الإسباني والنبلاء الذين كانوا يباعون البلاط الإسباني من الهولنديين، وهنالك رأي يقول بأن الكاريكاتير قد انتشر في أوروبا بشكل واسع بالذات بعد هذه الثورة. إلا أن أول بطل بدون منازع للرسوم الكاريكاتيرية كان «نابليون بونابرت» الذي هيج بغزواته المختلفة في جميع الجهات جميع رسامي أوروبا بشرقها وغربها لمهاجمته برسومهم الكاريكاتيرية فقد لاحق الكاريكاتير «نابليون» مدى الحياة وحتى بعد الإطاحة به، وقد هاجمه الكثير من الرسامين الألمان والإنكليز والإسبان والروس وغيرهم.

وقد تميز من بين الرسامين الإنكليز في مجال الهجوم على «نابليون» رسام الكاريكاتير الشهير «غيلري». ويكفي النظر إلى هذه الرسوم وبعد مضي ما يقارب المئتي عام على الأحداث التي تصورها لكي ندرك الوضع المحزن لـ«نابليون» عند رؤيته لتلك الرسوم التي أضحكت منه كل إنكلترا وكل من تسنى له الإطلاع عليها، حيث لم تقتصر الرسوم التي هاجمت «نابليون» على

شخصية «نابليون» فقط فهي عدا عن حياته السياسية قامت بتحقيقه فكانت بعض الرسوم تصوره كمهرج وبعضها يصوره ككلب أو حيوان آخر، بل إنها تعدت «نابليون» لتطال أسرته وأكثر الرسوم إحراجاً كانت تلك التي صورت «جوزفين»⁽²⁶⁾ زوجة «نابليون»، وإضافة إلى «نابليون» وأسرته طالت قيادة الجيش الفرنسي وأعضاء الحكومة والرجال البارزين في فرنسا بشكل عام. ومن الرسوم التي تطرقت لـ «نابليون» نذكر رسماً لفنان إنكليزي مجهول يصور فيه نابليون على جزيرة القديسة «هيلانة» على هيئة كلب في السيرك يقوده ضابط إنكليزي بجبل ويأمره بالرقص بينما يعزف له على طبل وبوق إثنان من الجنود (الشكل 121)، وللرسام الروسي «أرلوفسكي» رسم يحمل نفس الموضوع وإن كان لا يقسو بهذه الشدة على «نابليون» إذ يكتفي بتضخيم الكرش وتقصير القامة (الشكل 114) أما الرسام الروسي «تيريبييوف» فقد سخر في أحد رسومه من تقهقر الجيش الفرنسي بعد غزوه لروسيا في رسمه (تقهقر فصيلة الخيالة الفرنسية التي دفنت خيولها في روسيا) (الشكل 122) وكذلك فإن الفنان الروسي «شيفلار» عمد إلى تصوير الجيش الفرنسي بشكل كاريكاتيري في رسومه التي نذكر منها لوحته (الفرنسيون فئران جائعة في مجموعة زوجة المختار فاسيليسيا) والذي يصور فيه إضافة إلى السخرية من الجيش الفرنسي حرب العصابات التي خاضها الفلاحون الروس ضد الجيش الفرنسي والتي كان من أبطالها مجموعة النساء التي قادتها «فاسيليسيا» هذه حيث يصور الرسام مدى ضعف الجنود الفرنسيين الذين حتى في مجموعة النساء هذه يبدون كالفئران الجائعة (الشكل 123) ويمكن كذلك الإشارة إلى رسم سآخر للفنان الروسي «إيفانوف» يصور فيه فلاحاً روسياً يمسك بعنان حصان كان قد امتطى الزلاجة المربوطة إليه ضابط فرنسي يستعد للهرب، فيقول له الفلاح (توقف أنت لست في عربتك) (الشكل 124). وقد وصلت شهرة «نابليون» إلى الولايات المتحدة رغم تأخر الاتصالات في ذلك الوقت فقد تمكن الرسام

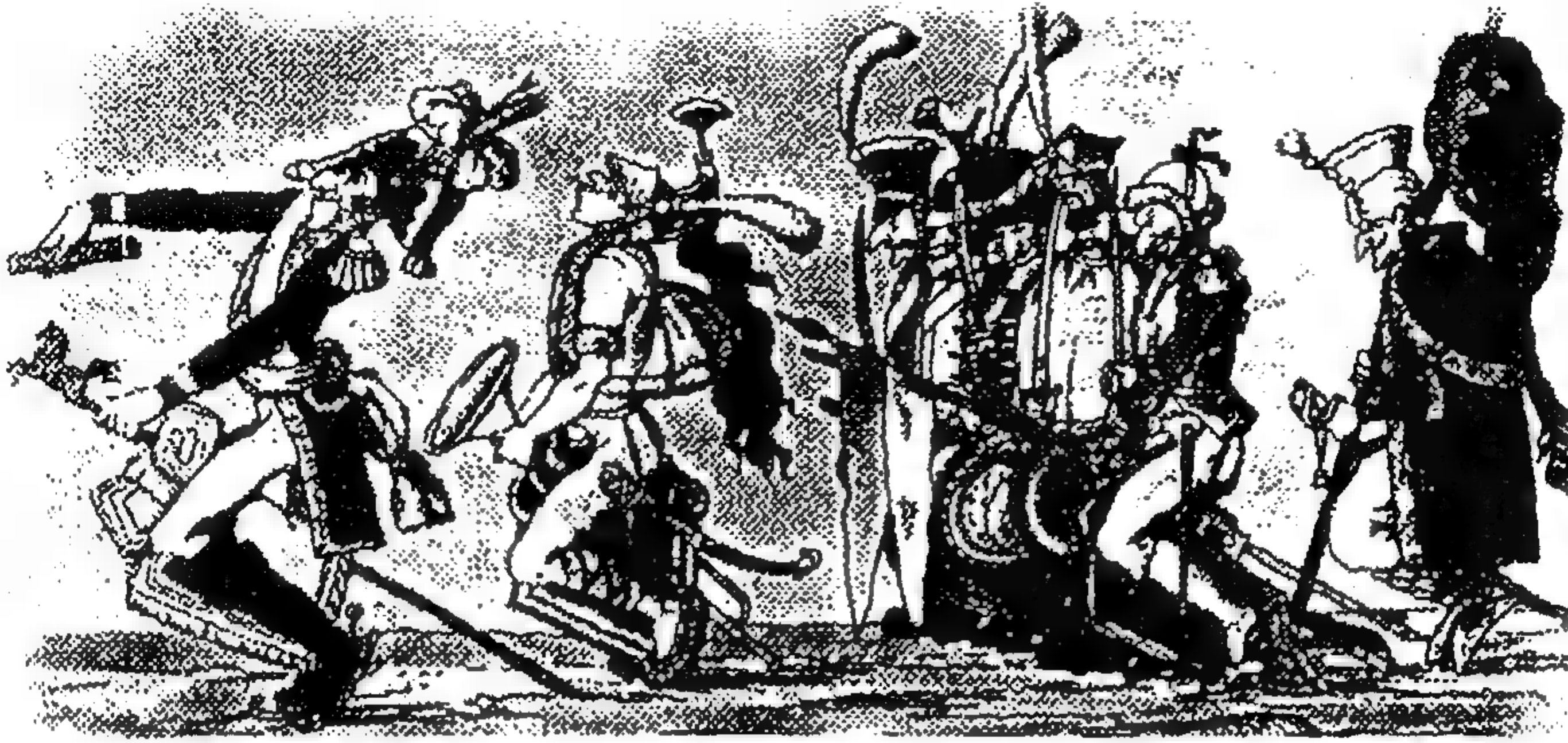
الأمريكي «دوليتل» من التطرق إلى موضوع «نابليون» قبل أن يمضي عليه الوقت بعد ففي رسمه (نابليون في محنة) يستخدم الفنان عناصر الرمز فيصور «نابليون» منقاداً وراء الشيطان الذي يلوح له بالتاج الروسي فوق ظهر حصانه الذي يكبو بفعل الهجوم الذي يتعرض له من جميع الجهات، فالدب الروسي يشد بأسنانه العنان والأسد البريطاني يعض على القائمة الخلفية للحصان، والنسر النمساوي ينقض من الأعلى بجناحيه اللذين يمثلان بروسيا والنمسا، أمد الملاك الجناح الذي ينفخ في البوق فيرمز إلى النصر يعزف لحن المجد للملك «لودفيغ» الثامن عشر الذي شغل عرش روما وإيطاليا وفرنسا (الشكل 125).

وقد أثارت الرسوم المختلفة التي طالت نابليون عصيته لدرجة أنه للموافقة على الصلح الذي اقترحه أميركا بين إنكلترا وفرنسا، وضع شرطاً أساسياً هو معاملة رسامي الكاريكاتير الذين تناولوه في رسومهم معاملة القتلة ومزوري العملة، ومحاکمتهم على هذا الأساس، أما العقوبة التي كانت متبعة لمثل هاتين الجريمتين فهي الإعدام، ولكن هذا الشرط لم يتحقق طبعاً.



الشكل (121) (منفى «نابليون بونابرت»، على جزيرة القديسة هيلانة)

رسام انكليزي مجهول، من القرن التاسع عشر الميلادي.



الشكل (122)،

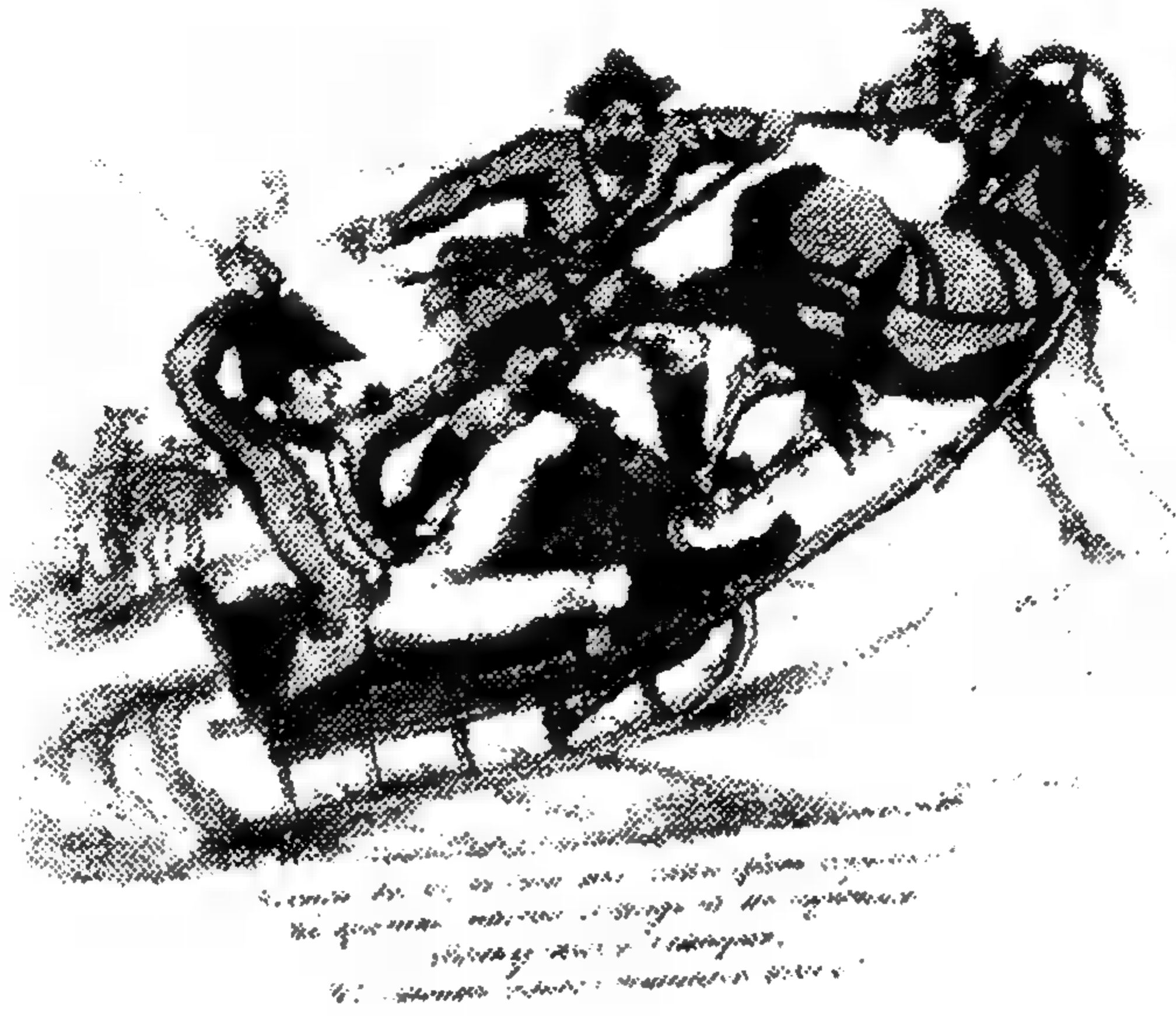
(تفهمر فصيلة الخيالة الفرنسية، التي دفتت خيولها في روسيا)، «تيربينوف»، 1812—1814م.



الشكل (123)

(الفرنسيون فتران جائعة، في مجموعة زوجة المختار فاسيليسيا)، «شيفلار»، 1813م.

«فاسيليسيا هي واحدة من الذين قادوا حرب العصابات ضد الجيش الفرنسي أثناء حملة «نابليون» على روسيا.



الشكل (124)

(توقف أنت لست في عربتك)، «إيفانوف» ، 1813 م.



الشكل (125)، (بونايرت في محنة)، «دوليتل» ، 1812 م.

ولم يكن حظ «نابليون الثالث» أفضل بكثير من حظ عمه «نابليون بونابرت» فعدا عن الرسوم التي هاجمته في فرنسا فقد تعرض للهجوم في الكثير من الرسوم الكاريكاتيرية الروسية التي برز من خلالها الرسام الروسي «ستيبانوف» الذي يمكن تصنيفه كمتخصص بـ «نابليون الثالث» إذ أنه في معظم رسومه يهاجم «نابليون الثالث»، وقد كان سبب استياء الرسامين الروس من «نابليون الثالث» ومن الإنكليز بنفس الوقت هو إنزال قوات البلديين في المدن التي كانت خاضعة لروسيا أثناء حرب القرم (1853 — 1856م) ومن رسوم «ستيبانوف» ضد «نابليون الثالث» نشير إلى رسمه «أذهب إلى القرم، لا أذهب إلى القرم» والذي يصور فيه «نابليون» ينتف شعر شاربيه على مبدأ مثل العاشق الذي ينتف أوراق زهرة ليعرف هل تحبه المعشوقة أم لا، (تجني، لا تجني) (الشكل 126) وعدا عن موضوعات حرب القرم فقد تطرق الفنان في هجومه على «نابليون» إلى موضوعات أخرى مثل علاقة فرنسا بإنكلترا حيث يصور في أحد رسومه «نابليون الثالث» واقفا على كيس من النقود قابضا على عنق شخصية سياسية بريطانية، أما تلك الشخصية البريطانية فتقول:

(— إنكلترا بدأت تشعر كم أنتم عزيزون عليها، ولكنكم تعبرون عن شكركم بشكل قوي... إنكم تخنقوننا أيها الجنرال الطيب «نابليون». أما «نابليون» فيجيبه:

— لا بد أنكم تمزحون يا صديقي المحترم فأنا فقط أريد أن اهدئ أعصابكم بعناقي لكم كما هدأتم أنتم أعصاب عمي بعناقكم له). (الشكل 127) ويحاول الرسام في هذا الرسم تصوير الحقد الذي تكنه فرنسا بشخص «نابليون» لبريطانيا ولا ندري هل كانت بريطانيا مغرمة بحب فرنسا، أما في رسوم أخرى فيهاجم الفنان «نابليون الثالث» في عقر داره حيث يصور في أحد رسومه صعود نابليون إلى العرش وتويجه كمهزلة (الشكل 128) حيث يقوم مجموعة من

رجال الدولة الفرنسية بوضع قبعة «نابليون بونابرت» على رأس «نابليون الثالث» قائلين على لسان أحدهم:

— اعتقد أنه بهذا الشكل سيكون مخيفاً. وفي رسم آخر يصور «ستيبانوف» الطريقة التي يخضع بها الفرنسيين ويجبرهم على القبول به (الشكل 129) حيث يقوم «نابليون الثالث» بإلقاء خطاب من منصة ويقول: (أيها الفرنسيون، إن الأمبراطورية هي السلام، والدليل على ذلك خلف ظهوركم، والسلام عليكم) أما خلف ظهور الفرنسيين فحربات البنادق وفي أسفل الرسم عبارة ربما تعود للجمهور تقول (عاش نابليون). وللفنان أيضا رسوم أخرى حول نفس الموضوع مثل رسمه الذي يصور فيه «نابليون» يشد الملزمة على ظهر امرأة ترمز إلى فرنسا قائلاً: (أنا أصنع لفرنسا كل ما أعرف وأستطيع) (الشكل 130)، وفي رسوم أخرى له يسخر «ستيبانوف» من وضع الجيش الفرنسي في شبه جزيرة القرم إذ يصور في أحد رسومه جندياً فرنسياً يقول (وها أنا أخيراً في سيفاستوبل) ولكن الجندي الفرنسي ليس منتصراً وإنما هو أسير يحسكه من ياقته جندي روسي ويدفعه إلى الأمام (الشكل 131) وفي رسم آخر حول نفس الموضوع يصور ضابطاً فرنسياً يرفع تقريراً عن سير المعارك قائلاً (مدافع جلالكم تحدثت) والضابط هو «سانت ارنو»، أما المقصود من العبارة فهو أن كل الجنود قتلوا وبقيت المدافع وحيدة ولذلك فهي تتحدث (الشكل 132).

وفي رسم آخر له يصور «ستيبانوف» تأثير معارك «سيفاستوبل» على الرأي العام الفرنسي حيث يجلس طفل فرنسي على كرسي واضعاً قدميه على طاولة في وضعية استرخاء مخاطباً والده قائلاً: (أبي، أرنو سيفاستوبل عندما يحصلون عليها ويجلبونها إلى هنا، يقولون إنها مرعبة)، (الشكل 133). وفي رسوم أخرى له يسخر من الإنكليز ونذكر من هذه الرسوم رسماً يسخر فيه من الأدميرال الإنكليزي «بيير» (الشكل 134) ورسم آخر يسخر من الحكومة البريطانية التي وعدت بالانتصار وهزم أسطولها في بحر البلطيق (الشكل 135)،

وفي رسم آخر يصف حملة التجنيد في بريطانيا عبر حوار بين «الميرستون»⁽²⁷⁾ و«جون بول»⁽²⁸⁾:

(«الميرستون»: بانتظاركم المجد....)

«جون بول»: نحن بحاجة إلى الرفاهية وليس إلى المجد، أما من أجل المجد فجندوا الفرنسيين فهم يقاتلون من أجل النساء، من أجل كلمة واحدة، وحتى من أجل لا شيء، فكيف لا يقاتلون ن أجل مبلغ محترم؟ (الشكل 136).



Иду к Крыму. ■ Иду к Крыму

الشكل (126)

(نابليون الثالث: أذهب إلى القرم، لا أذهب إلى القرم)، «ستيانونوف»، 1855-1860م.



الشكل (127)

(— إنكلترا بدأت تحس كم أنتم عزيزون عليها، ولكنكم تعبرون عن شكركم بشكل شديد....

أنتم تخفقوننا أيها الجنرال الطيب «نابليون».

نابليون: لا بد أنكم تغزون يا صديقي المحترم أنا أريد أن أهدأ أعصابكم بعناقي لكم، كما هدأتكم

أنتم أعصاب جدي).

وفي الجزء العلوي من الرسم على اليمين واليسار بهتان: (الأوضاع في فرنسا والشرق) و(القضايا الداخلية

لإنكلترا). «ستييانوف»، 1855 — 1860م.



الشكل (128)، (تتويج نابليون الثالث)

(— أعتقد أنه هذا الشكل سيصبح محيقاً.) «ستييانوف» 1855—1860م.



الشكل (129)

(نابليون الثالث: أيها الفرنسيون...
الإمبراطورية هي السلام والدليل على ذلك خلف
ظهوركم، وعليكم السلام. و(عاش نابليون)،
«ستييانوف» ، 1855—1860م.



الشكل (130)

(نابليون الثالث : أنا أصنع لفرنسا كل ما أعرف وما أستطيع .)

«ستييانوف» 1855 – 1860 م .



الشكل (131)

(وأخيراً أنا في سيفاستوبول)

«ستييانوف» ، 1855 – 1860 م.

الشكل (132)

(تقرير «سانت أرنو» من القرم:
«... مدافع جلالتكم تحدثت...»
«ستيانوف»، 1850-1860م.
(المقصود هنا أن المدافع بدأت
تحدث لأن الجنود جميعهم ماتوا.)



الشكل (133)

(طفل فرنسي: أبي، أرى «سيفاستوبل» عندما
يصلون عليها ويجلبونها إلى هنا، يقولون أنها مرعبة.
«ستيانوف»، 1855-1860م.)



الشكل (134)

(الأميرال الإنكليزي «بيير».)
«ستيانوف»، 1855-1860م.





الشكل (135)

(كاريكاتور يسخر من الإنكليز الذين وعدوا بالانتصار وهزموا في بحر البلطيق.)

«ستيانوف»، 1855 — 1860 م.

الشكل (136)

(التجنيد في إنكلترا («بالميرستون»: المجد

بانتظاركم ...

«جون بول»: تلزمنا الرفاهية وليس المجد. من

أجل المجد جندوا الفرنسيين فهم يقاتلون من أجل

النساء، ومن أجل كلمة واحدة، ومن أجل لا شيء،

فكيف لا يقاتلون من أجل مبلغ محترم؟)



ومن بين أبطال الكاريكاتير المشهورين كان الزعيم الألماني الفاشي «أدولف هتلر» الذي كان عدا عدوانيته التي تميز بها ذا مظهر وحركات كاريكاتيرية وبحضرنا هنا قول «شارلي شابلن» الذي سخر من «هتلر» مصوراً مظهره الكاريكاتيري قائلاً: (لقد سمحت له أن يقلد مشيتي، وسمحت له أن يقلد شارلي ولكني لا أسمح له أبداً أن يُضحك الناس أكثر مني)، لقد كان «هتلر» من أكثر الزعماء والقادة الذين تعرضوا للسخرية عبر رسوم الكاريكاتير الساخرة فقد كان هدفاً لكل الرسامين في العالم تقريباً وفي وقت واحد ولعل الرسوم التي تسخر من «هتلر» تقدر بعشرات الآلاف فيما لو تم جمعها هذا إذا لم تتخطى هذا العدد بكثير، ولذلك فقد حظي رسامو الكاريكاتير بكراهية خاصة لدى «هتلر» وقد لاقى الكثير من الرسامين الألمان حتفهم لأنهم صوروا «هتلر» قبل صعوده إلى السلطة بشكل كاريكاتيري وكذلك حدث مع الكثير من الرسامين الأوروبيين الذين وقعت بلدانهم تحت نير الاحتلال الفاشي في الحرب العالمية الثانية، وكان «هتلر» قد صرح أنه بعد احتلال «موسكو» سيقوم بشنق «ستالين» أولاً، و«ليفيتان» ثانياً⁽²⁹⁾، و«الكوكرينكسي» (وهم مجموعة من ثلاثة رسامي كاريكاتير) ثالثاً⁽³⁰⁾ ولأن الرسوم التي هاجم هتلر ربما لا تحصى فإننا نشير إلى عدد من رسامي الكاريكاتير الذين هاجموا في رسومهم ومن هؤلاء الرسامين نشير إلى الفنان الروسي «بوريس يفيموف» (الشكل 137) وكذلك إلى الفنان الروسي «فيكتور ديني» (الشكل 138) وفنانين روس كثير مثل «مور» و«مولاخوفسكي» و«روداكوف» و«يونفير» وغيرهم، ومن الفنانين الفرنسيين نشير إلى الفنان «كابول» (الشكل 139) و«الشكل 140» و«لينغرين» و«اوتو» وغيرهم، وبشكل عام فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن فناناً واحداً لم يشارك في هذه الحرب من الفنانين الأوروبيين، وللدلالة على الدور الكبير الذي لعبه الكاريكاتير في هذه الحرب نشير إلى تجربة الفنانين الروس الثلاثة (الكوكرينيكسيون) والذين كانوا إضافة إلى عدد آخر من رسامي

الكاريكاتير الروس يدعون إلى اجتماعات القيادة السوفيتية الخاصة بالإجراءات الدفاعية أثناء الحرب العالمية الثانية والذين كانت رسوماتهم تنشر في الصحافة السوفيتية وإضافة إلى ذلك كانت تطبع على شكل منشور كانت تلقى بواسطة الطائرات على تجمعات الجيوش الألمانية وكانت ترفق بعبارة فحواها أن هذا الرسم الكاريكاتيري هو البطاقة التي تسمح لك بتسليم نفسك دون أن تصاب بأذى، وفعلاً فعند استسلام الكثير من الجنود الألمان كانوا يبرزون هذه الرسوم. (أنظر الشكل 141 من رسوم الكوكرينيكسيون).

إن الكاريكاتير كسلاح فعال استخدم في كافة الحروب التي تلت الحرب العالمية الثانية ولو ألقينا نظرة سريعة على مجموعة من الرسوم الكاريكاتيرية العربية كنموذج لاقتنعنا تماماً بهذا الكلام فمعظم الرسوم الكاريكاتيرية العربية تصور الصراع مع الكيان الصهيوني ولا يستثنى من هذا الكلام رسام واحد بدءاً من سواحل الخليج وانتهاء بسواحل المحيط.



الشكل (137)

(تخيم اسطورة الجيش الذي لا

يقهر.)

«بوريس يفيموف»،

1942م.

(على العلم كتب

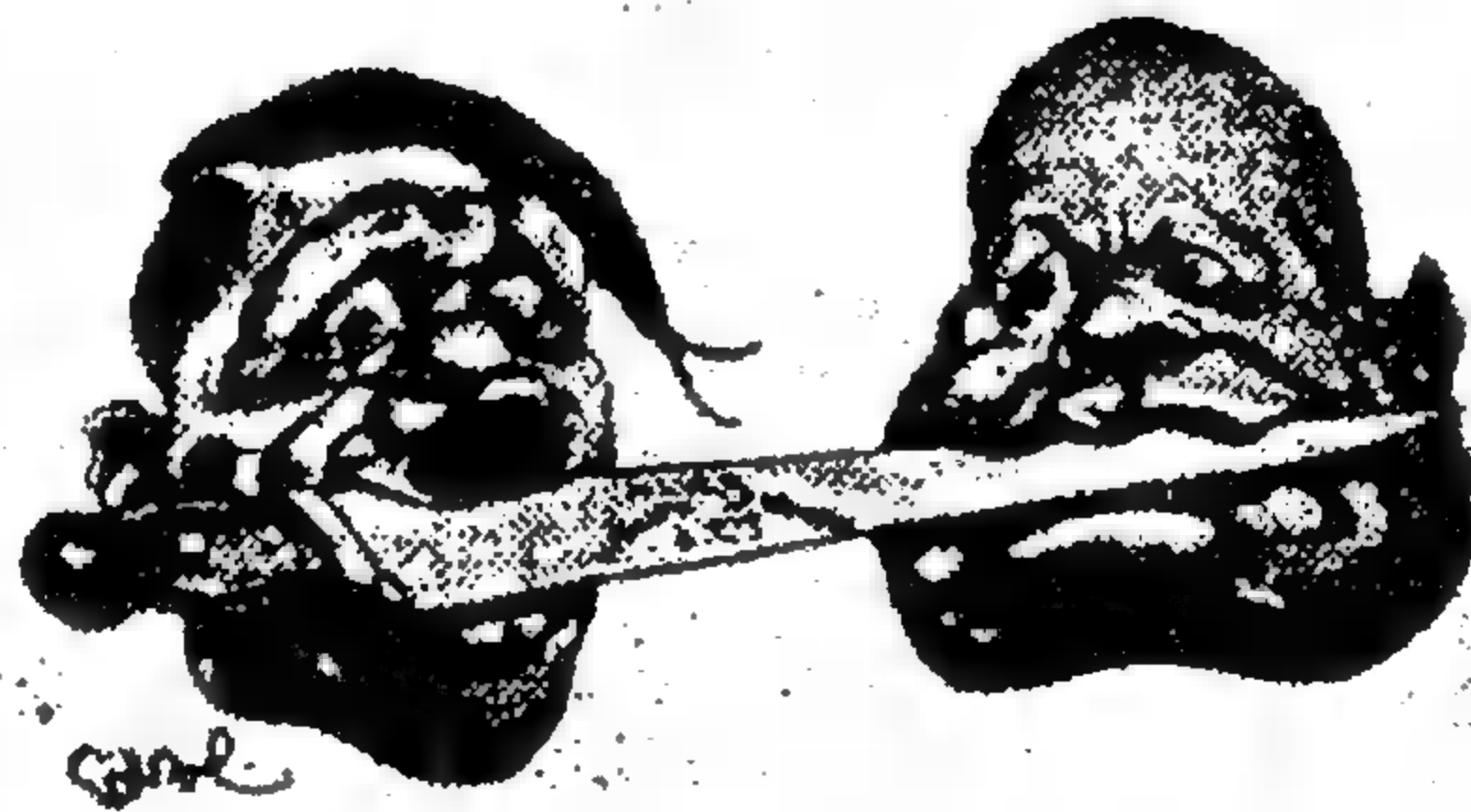
«موسكو»، وعلى النعش عبارة

«أسطورة الجيش الذي لا يقهر».)



الشكل (138)

(تقرير من الجبهة) «فيكتور ديني»، 1942م.



الشكل (139)

«هتلر» و«موسوليني»، «كابرول»، 1939م.



«هتلر»، 1931 م.



«هتلر» 1933 م.

LE FUEHRER

L'INCENDIAIRE



BUTLER'S AMANON

«هتلر» 1937 م.

الشكل (140) الرسام الفرنسي «كايرول».

НА ПРИЕМЕ У БЕСНОВАТОГО ГЛАВНОКОМАНДУЮЩЕГО



Генерал с Восточного фронта:
«Что нам теперь делать, генерал?»
Генерал: «Вперед! Давайте нам советовать с немцами».

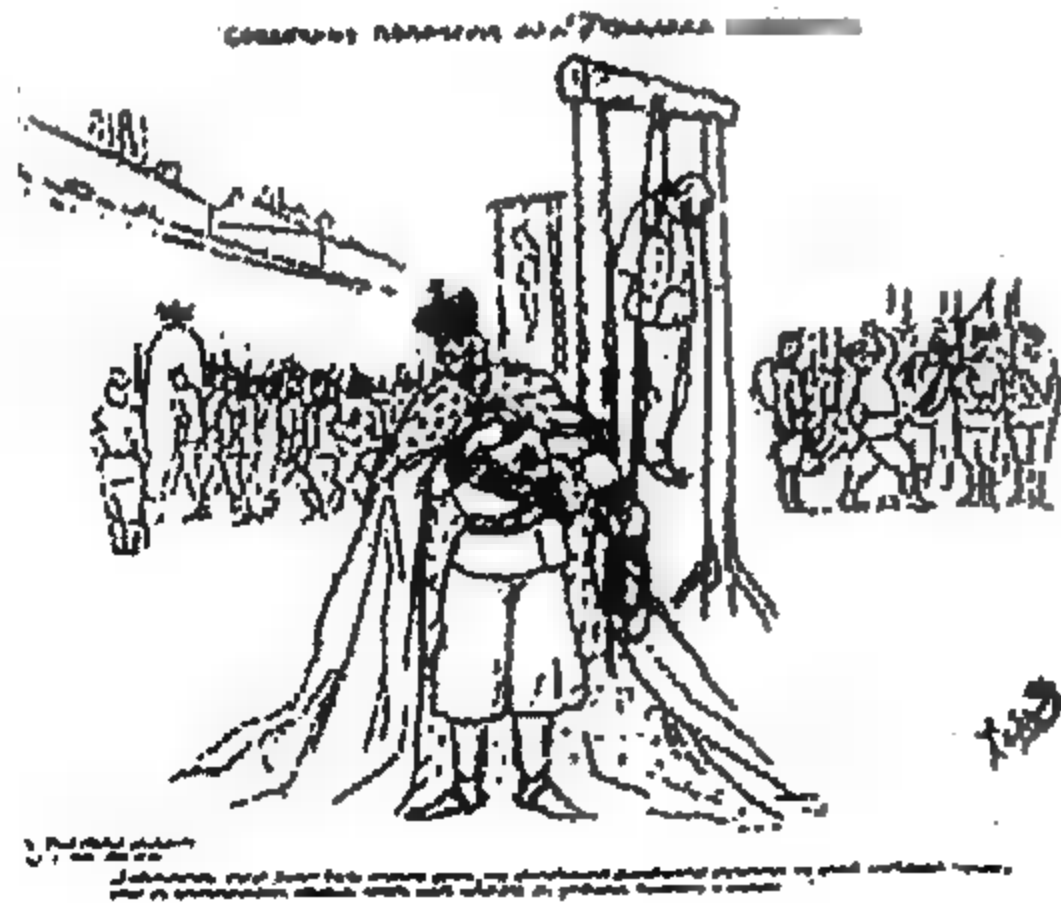
الشكل (141)

(ملصق كاريكاتيري ضد «هتلر»). «الكوكرينكسي»

ولم يكن الكاريكاتير في الحروب الأهلية والنزاعات الداخلية بأقل رحمة منه في الحروب بين الدول وقد استخدم الكاريكاتير بشكل كبير في الحرب الأهلية الإسبانية والحرب الأهلية الروسية التي أعقبت سقوط القيصر (أنظر الاشكال 142، 143، 144)، ولعل فرنسا هي إحدى البلدان البارزة في هذا المجال فقد كان للكاريكاتير في حياتها السياسية مكانة خاصة إذ أن الفن كان أحد الأطراف الرئيسية في جميع هذه الصراعات تقريباً فقد وقع ضحية للكاريكاتير كل من حكم هذا البلد تقريباً وكان أشخاص مثل «نابليون بونابرت» و«كارل العاشر» و«لويس فيليب» و«نابليون الثالث» و«لودفيغ» وغيرهم ضحية مفضلة للكاريكاتير ولعل مرحلة «لويس فيليب» كانت من أغنى هذه المراحل وأمتعتها بالنسبة للكاريكاتير فقد كانت الرسوم لا تقتصر على انتقاد السلطة سياسياً، بل كانت تحدد ضحاياها بالاسم بدءاً بالملك وانتهاء بالوزراء وغيرهم من رجال السياسة والدبلوماسيين وممثلي السلطة ولعل من أشهر الرسوم الكاريكاتيرية التي طالت شخصية الملك تلك الرسوم التي تصوره على شكل الإجاصة، حيث طرح «شارل فيليبون» صاحب مجلة (الكاريكاتير) الفرنسية فكرة الإجاصة هذه وتبناها معظم الرسامين العاملين في المجلة، حيث قام رسامو الكاريكاتير برسم صورة الملك على شكل إجاصة (الشكل 145) والسفر في الفكرة أن كلمة إجاصة في اللغة الفرنسية، تحمل معنى آخر في الوقت نفسه وهو (المخبول) (poire) (بوار) ولعل من أنجح الرسوم التي نشرت في هذا المجال كان إجاصة «دوميه» الرسم الذي نشر في 15 آب 1833م في مجلة الكاريكاتير (الشكل 146).

إن الحرب الكاريكاتيرية التي خاضها دوميه ضد الملك لم تبدأ به مباشرة بل بدأت أولاً بحاشيته، ففي العدد (78) من المجلة المذكورة والصادر في 26 نيسان 1832م نُشر رسم يهاجم فيه عضو البرلمان «شارل دي لاميت» الذي انتقل من

المعسكر المعادي للملكية في فرنسا إلى واحد من أنصار «لويس فيليب» (الشكل 147) وقبل ذلك في العدد (85) من المجلة نفسها كان قد هاجم المستشار الشخصي للملك ورئيس مجلس النواب «ديوبين» برسم مشابه (الشكل 148) وفي الرسمين أعطى «دوميه» للوجهين ملامح القردة، وهذان الرسمان جزء من سلسلة رسوم (المشاهير) التي حوّل «دوميه» بعض رسومها إلى تماثيل ساخرة كذلك، وفي العدد (127) 11 نيسان 1833م، يقوم «دوميه» بمهاجمة «بيرسيل» الذي شارك في محاكمة الصحف التي تدعو للجمهورية برسم ينتمي إلى نفس السلسلة (الشكل 149) وكان «دوميه» قد نفذ هذه السلسلة المؤلفة من ستة رسوم بعد خروجه من السجن بعد رسم نفذه ضد الملك في عام 1831م يصور فيه الملك جالساً على العرش والشعب يقدم كل ما لديه من خيرات واضعاً إياها في سلال يصعد بها خدام الملك إلى فمه بوساطة لوح خشبي كذلك الذي تنقل عليه البضائع إلى السفن (الشكل 150)، أي أن الملك يلتهم خيرات فرنسا، وعلى أثر هذا الرسم حكم على «دوميه» وعلى الناشر «أوبير» بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ، وبغرامة مالية تقدر بـ 500 فرنك، وذلك بسبب (التحريض ضد الحكومة والسخرية من الملك) وقد نفذ الحكم في 30 آب 1832م بسبب عدم توقف دوميه عن نشر رسومه المناهضة للحكم وهو الشرط الذي وضعت المحكمة لوقف التنفيذ. وإضافة لـ «دوميه» وضع في السجن كذلك «شارل فيليبون» الذي كان قد صدر حكم مشابه ضده.



الشكل (142)

(اهتمام كبير بمشاركة الشباب في الحياة السياسية)

«ريزننتشيكو» 1902م.



الشكل (143) القيصر «نيقولا الثاني» والأمير «أبولينسكي» «ريزنيتشكو» 1902م.



الشكل (144)

(نعترف أنه من أجل البلد يجب أن نتنازل عن

العرش)، فنان مجهول 1917م.

(من الرسوم المعادية للقيصرية في روسيا)

ولكن «دوميه» لم يتوقف عن نشاطه المناهض للملك، ففي عدد مجلة (الكاريكاتير) الصادر في 31 تموز 1834م ينشر «دوميه» رسمة (السمين الجشع) الذي يصور فيه الملك باللباس العسكري ويعطي له ملامح جسم الممثل الفرنسي «ليبينتر إيمانويل» الذي كان له كرش ضخيم (الشكل 151) وقبل ذلك كان قد هاجم رئيس الوزراء «غيزو» برسم نشر في العدد (162) 13 كانون الأول 1833م (الشكل 152) واعتباراً من عام 1833م بدأت حملة معادية للصحافة من قبل الحكومة اشتدت على إثر أحداث العنف التي جرت في «ليون» و«باريس» و«مارسيليا» وغيرها من المدن في نيسان 1834م، وبعد محاولة اغتيال «لويس فيليب» أخذت الكثير من القوانين، التي كانت سنت سلفاً وانتظرت المبرر، أخذت بالصدور، وأخذت الرقابة تمنع نشر الكثير من المواد وبخاصة الكاريكاتير، وكان ذلك بمثابة نزع السلاح من يد الحزب الجمهوري الذي حُلَّ في كانون الثاني 1836م، وأخذت الصحف تغلق واحدة إثر أخرى ففي 11 أيار 1835م أغلقت صحيفة (المنبر) وفي آب من نفس العام توقف مجلة (الكاريكاتير) وفي تشرين الأول صحيفة (المصلح)، وكان السبب في ذلك بشكل رئيسي القرار الذي صدر في شباط 1834م والذي منع بيع الصحف في الشوارع والساحات العامة بدون إذن خاص ونص على أن تكون جميع المنشورات المعروضة للبيع مختومة وهذا ما قيد حركة الصحف وانتشارها مما أدى إلى إفلاسها، أما الصحف التي لم تفلس فقد تم إيقافها عبر القضاء، ولذلك فقد امتنعت الكثير من الصحف عن نشر الرسوم الكاريكاتيرية السياسية كما في السابق، وأخذت مجلة (شاريفاري) التي كانت منبراً سياسياً فيما سبق تذييل عناوينها بالعبارة التالية: ("شاريفاري" تنشر كل يوم رسوماً جديدة بشرط موافقة الرقابة عليها). وفيما يخص الكاريكاتير فقد صدر به مرسوم خاص يمنع نشر الرسوم السياسية الكاريكاتيرية، ولكن منع نشر الرسوم الكاريكاتيرية لم يحسم

«لويس فيليب» من جحيم الكاريكاتير إذ أنه بعد سقوطه إثر ثورة 1848م تحول من جديد إلى هدف للسخرية، إذ هاجمه الكثيرون من رسامي الكاريكاتير وبخاصة أنه لجأ إلى انكلترا، وعلى سبيل المثال نذكر رسم «دوميسيه» (على شواطئ إنكلترا) الذي نشر عام 1848م والذي يصور فيه «لويس فيليب» ورئيس وزرائه «غيزو» يقدم له تقريراً (الشكل 153).



الشكل (145)

رسم كاريكاتيري يهاجم ملك فرنسا «لويس فيليب» بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر.



الشكل (146) الملك «لويس فيليب» «أونريه دوميه» 1833م.

وبعد ثورة 1848م عاد الكاريكاتير السياسي إلى الساحة من جديد ففي نيسان 1848م على سبيل المثال ينشر «دوميه» رسماً فيه جندي يلقي بسلاحه قائلاً: (لقد تخلصنا من «لويس فيليب»، أما هذا فلن نتخلص منه أبداً) (الشكل 154)، وفي عام 1850م ينشر «دوميه» رسماً كاريكاتورياً يصور فيه أنصار «لويس نابليون بونابرت» يتخلصون من معارضيهم (الشكل 155) وهم أعضاء في جمعية تدعى جمعية «10 ديسمبر» وكانت تؤيد «البونابرتية». ومن الرسوم التي هاجم فيها «دوميه» «البونابرتية» رسمة الذي يصور فيه عجوزاً يدعو امرأة قائلاً لها: (اسمحو لي بمرافقتكم أيتها السيدة الرائعة) في هذا الرسم ترمز المرأة إلى الجمهورية وأما العجوز فيمثل «البونابرتيين» وفيه يصور «دوميه» خداع البونابرتيين الذين ينتظرون الفرصة لتثبيت أقدام الأباطورية ويتملقون مؤقتاً للجمهورية (الشكل 156). وفي أحد رسومه يصور «دوميه» وزير الأشغال الاجتماعية «تيوبال لاكروس» (الشكل 157). ويمكن القول إن وزيراً واحداً لم ينج من ريشة «دوميه» بشكل عام، وفي أحد رسومه يصور الحامي والصحفي ورجل الدولة «أدولف تيير» الذي كان ممثلاً على المسرح السياسي يلعب حيناً دور المؤيد للمعارضة وحيناً دور المناصر للسلطة في أكثر المنعطفات التاريخية الحرجة في الحياة السياسية في فرنسا والذي استشاره «شارل فيليبون» مرة للسؤال عن القانون الذي يقيد الصحافة وذلك لمعرفة الحدود التي يمكن لـ«فيليبون» التحرك بها، وأثار فيليبون في استفساراته انتباه «تيير» إلى المخاطرة بنشر الكاريكاتير السياسي بشكل غير علني، فأجابه «تيير» بأنه بمساعدة الشرطة سوف يحارب كل رسامي الكاريكاتير، ولكن الكلمة الفصل رغم ذلك بقيت لـ «دوميه» الذي قبل التحدي ورسم «تيير» في 111 رسماً والتي منها الرسم الذي نتحدث عنه ويصور فيه «دوميه» «تيير» يحمل هراوة

ضخمة ويتقدم نحو الصحافة من الخلف ليقتضي عليها (الشكل 158). ولم تقتصر رسومات «دوميه» على الوزراء ورجال السياسة فقد تعرض أيضاً في هذه الرسوم إلى رجال الأدب والفكر الذين لم يكونوا برأيه واضحي المواقف ومن هؤلاء كان الأديب الفرنسي «فيكتور هيجو» الذي تميزت آراؤه السياسية بالتقلب، وفي أحد رسومه يصوره «دوميه» بعد محاولة فاشلة لعرض إحدى مسرحياته (الشكل 159).

ولم يكتف «دوميه» في رسومه بتصوير الحياة السياسية الداخلية لفرنسا بل تطرق أحياناً إلى قضايا تحدث خارج فرنسا كالعمل في قناة السويس على سبيل المثال، حيث يصور في أحد رسومه كيف يقوم الفرنسيون بدفع سعيد باشا للعمل على شق القناة، حيث كان الإنكليز خائفين من فقدان السيطرة على الطريق إلى الهند فكانوا يحرضون سعيد باشا ضد الفرنسيين وكان الفرنسيون يقومون بكل المحاولات للإبقاء على أفضليتهم في شق القناة وفي هذا الرسم يصور «دوميه» رجلاً يدفع سعيد باشا الذي يحمل بيده عصا بينما رجل ثالث يولي هارباً وتفسير اللوحة يمكن أن يكون بأشكال مختلفة فالرجل الذي يدفع سعيد باشا يمكن أن يكون انكلترا التي تدفع حاكم مصر لطرد الفرنسيين ويمكن بنفس الوقت أن يكون «فرديناند دوليسيس» يدفع سعيد للضغط على العمال الفرنسيين في العمل للقضاء على تردد سعيد باشا (الشكل 160) وهذا الرسم من الرسوم النادرة جداً لأن الرقابة الفرنسية منعت نشره في ذلك الوقت وبقي في شكله الأول (على الحجر "ليثوغرافيا").

وفي رسم آخر يهاجم «دوميه» السياسة الاستعمارية البريطانية في «جامايكا» و«ايرلندا» فيصور مواطناً «ايرلندياً» ومواطناً «جامايكياً» وخلفهما دركي بريطاني بينما يهمس «الجامايكي» في أذن «الإيرلندي»: (الصبر... (الشكل 161).

الشكل (147)

«شارل دي لاميت»، من سلسلة (المشاهير).

«اونريه دوميه» 1832م.



DIP.



الشكل (149)

«بيرسيل» من سلسلة (المشاهير).

«اونريه دوميه» 1833م.



CH. de LAMOTTE



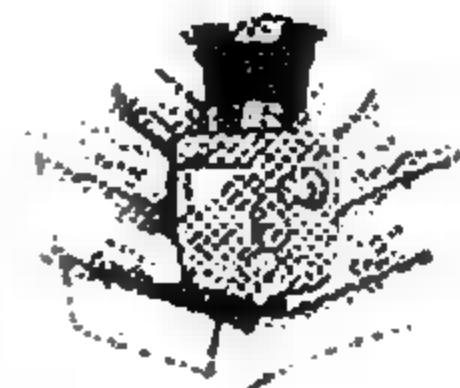
الشكل (148)

«ديوبين»، من سلسلة (المشاهير).

«اونريه دوميه» 1832م.



PERU-YOU





الشكل (150) الملك «لويس فيليب» «أونريه دوميه» 1831 م.



الشكل (151)

(السمين الجشع)

كاريكاتير ضد الملك «لويس فيليب»

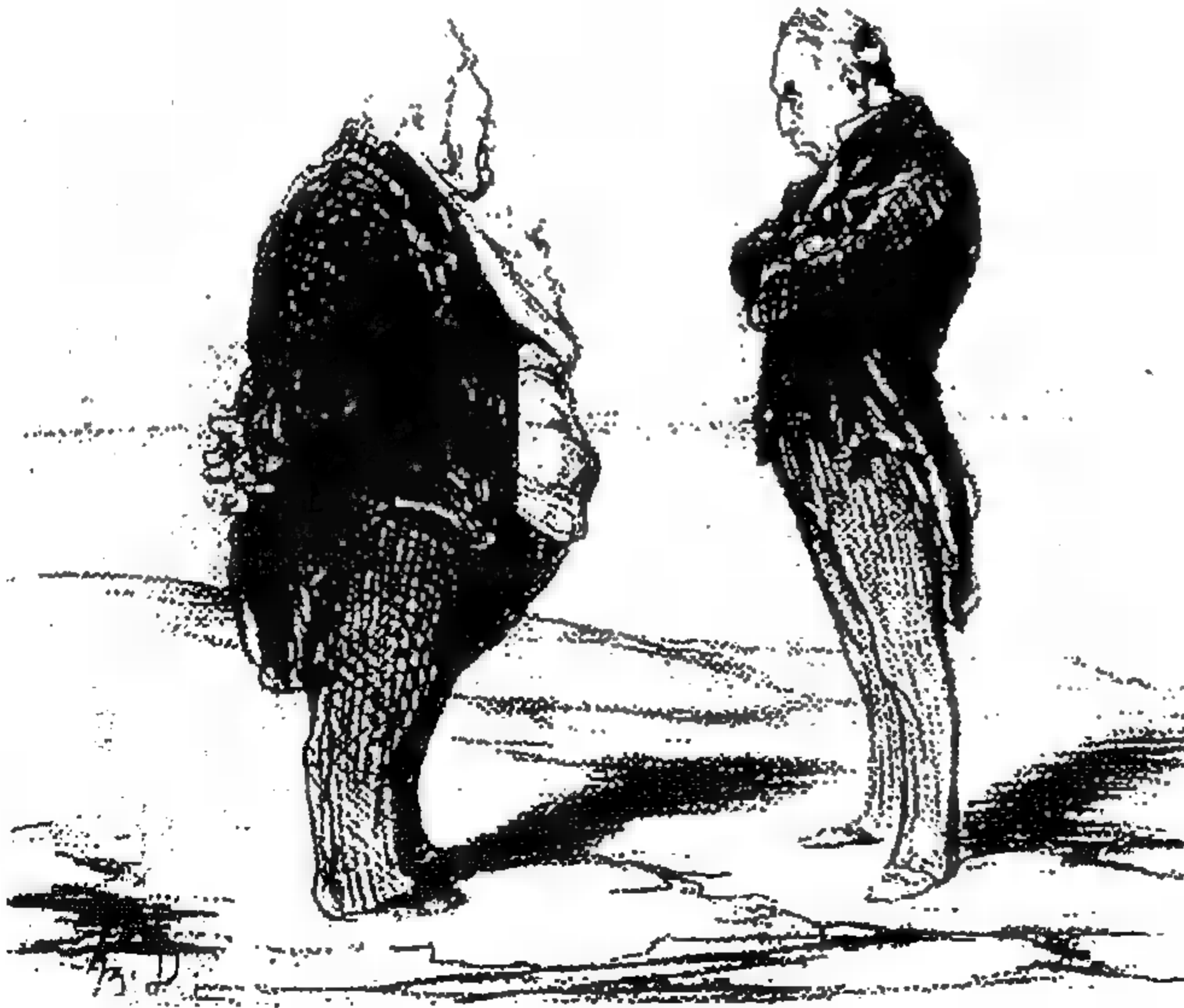
«أونريه دوميه» 1834 م.



الشكل (152)

كاريكاتور ضد «فرانسوا غيزو» رئيس
الحكومة الفرنسية التي سقطت بعد ثورة
1848 م.

«أونريه دوميه» 1833 م.



الشكل (153)

على شواطئ انكلترا

(رسم كاريكاتيري

يصور «لويس

فيليب» و«غيزو»).

«أونريه دوميه»

1848 م.



الشكل (154)

اليانس: (لقد تخلصنا من «لويس
فيليب أما من هذا فلن نستطيع ابداً»
«أونريه دوميه» 1848م



الشكل (155)

أعضاء جمعية 10 ديسمبر أثناء القيام بواجباتهم الخيرية. «أونريه دوميه» 1850م.



الشكل (156)

أيتها السيدة الرائعة اسمحي لي بمرافقتك. (رسم ضد «البونابريه»).

«أونريه دوميه» 1851م.

الشكل (157)
«تيوبال لاكروس» وزير الأشغال
الاجتماعية.
«أونريه دوميه» 1849 م.



الشكل (158)
(إغتيال الأم)
كاريكاتور ضد «أدولف نير».
«أونريه دوميه» 1850 م.



الشكل (159)

رسم كاريكاتيري ضد «فيكتور هيجو» الذي
كان يغير في شكل دائم آراءه السياسية، وفي هذا
الرسم يصور «دوميه» المحاولة الفاشلة
لـ « هيجو» بتقديم إحدى مسرحياته.
« أونريه دوميه » 1843م.



الشكل (160)

قناة السويس (كيف يدفعون
الفرنسيين للعمل في مصر)
«أونريه دوميه» 1859م.



الشكل (161)

(إيرلندا وجامايكا - الصير. يهتس المواطن الجامايكي للمواطن الإيرلندي.)

«أونريه دوميه» 1866م.

وأثناء قيام كومونة باريس اندلعت الحرب الكاريكاتيرية من جديد حيث
برز إلى الساحة رسامون جدد إلى جانب الرسامين المعروفين مثل «دوميه»
و«دوريه» وغيرهما، وإضافة إلى هذه الأسماء ظهرت أسماء مثل، «بوليتيل»،
و«مولوك» وغيرهما. ومن الرسوم التي نشرت في ذلك الوقت نشر أيضا إلى
رسوم «دوميه» (فولتير يصفق) والذي يصور فيه تمثال «فولتير» يصفق
للجموع الهادرة (الشكل 162) ورسمه (باريس تتهم) وفيه يصور امرأة ترمز إلى
باريس تمسك بذراع رجل من ممثلي السلطة وتتهيا لصفعه مشيرة بيدها إلى
مقبرة كبيرة (الشكل 163) وكذلك رسوم أخرى مثل رسمه (أنا لم أصوت من
أجل هذا) الذي ظهر في 1 نيسان 1871م وغيره من الرسوم. ومن الأسماء اللامعة
في الكاريكاتير الفرنسي كان كذلك الفنان «غوستاف دوريه» الذي هاجم
السلطة قبل أيام الكومونة فرسم لوحته المشهورة (المارسيليز)⁽³¹⁾ والتي هاجم
فيها الأمبراطور «نابليون الثالث» على إثر خلع بعد هزيمته في «سيدان» في
الشهور الأخيرة من عام 1870م والتي صور فيها الحماس القائق لدى الجماهير
الغاضبة عند تخليصها من الاستبداد. أما في أيام الكومونة فإن أشهر رسوم
«دوريه» يعتبر تلك السلسلة التي تصور أعضاء المجلس الوطني في «فيرسال»
والمسماة (MESSIEURS) حيث أن «دوريه» عند اندلاع الكومونة وقف ضدها
وسافر إلى «فيرسال» وكان يتابع شخصياً اجتماعات المجلس ولكنه بعد أيام
قليلة غير رأيه وعاد إلى باريس لينفذ السلسلة المذكورة (الشكل 164) و(الشكل
165) والتي نشرت لأول مرة بعد 24 عاما من وفاة الرسام، أي في 1907م،
ويمكن القول إن «دوريه» الذي مارس الكاريكاتير السياسي بشكل قليل كان
في سلسلته هذه قريبا إلى درجة كبيرة من «دوميه» في سلسلته (المشاهير)
وغيرها من رسوم «البورتريه» الكاريكاتيرية.

وفي أيام الكومونة قام الكثيرون من الرسامين الفرنسيين مثل «بيلوتيل» و«ليفيه» و«كولومب» و«غيسي دي غينيم» و«يلوغيه» و«غيار» و«ستينلين» وغيرهم بطباعة رسومهم وملصقاتهم الساخرة في مراسمهم الشخصية، إضافة إلى مطابع حكومة «الكومونة» التي كانت تعمل على قدم وساق في هذا المجال والتي كانت تطبع الرسم أو الملصق عادة بستة آلاف نسخة يقوم أنصار الكومونة بتعليقها على الجدران في جميع أحياء باريس وكانت هذه الرسوم ترفق بشعارات وقرارات الكومونة.

وقد كان للصحافة الساخرة أثناء الكومونة جولة مهمة فقد ظهر عدد كبير من الصحف الساخرة إضافة إلى الصحف التي كانت تصدر قبل الكومونة، مثل (La caricature politique الكاريكاتير السياسي) و (l'asie المنشار) و (LaFleche السهم) و (La Fronde illustree الفروند المصور)⁽³²⁾ وغيرها حيث أصبح الكاريكاتير السياسي يظهر على صفحاتها بشكل منتظم طيلة أيام الكومونة وكانت تهاجم الطرف الآخر المعادي للكومونة. ومن الرسوم المشهورة يمكن أن نشير إلى الرسم المنشور في جريدة (La carmagnole الكارمانولا)⁽³³⁾ يصور أناساً ينتمون إلى مختلف شعوب العالم يرقصون متشابكي الأيدي حول العرش الملكي المقلوب وباقي الأشياء المبعثرة التي ترمز إلى الملك، وكذلك رسم آخر في جريدة (Le pere fouettard) يصور عجوزاً يحمل عصاً ويرعى «نابليون الثالث» و«تير» و«جول فافر» الذي كان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية في حكومة المجلس الوطني والذي أصبح بعد ذلك وزيراً للخارجية في حكومة «تير» وكان واحداً من الزعماء البارزين الذين قادوا عملية القضاء على الكومونة. ومن الأعمال التي يمكن الإشارة إليها يمكن ذكر رسم الفنان الفرنسي «بوليتيل» (المجلس الوطني وانتفاضة عمال باريس) والذي يصور فيه عاملين يرفعان راية كتب عليها (عاشت الجمهورية) يتصدى لهما جندي مسلح

وخلفهما علي يمين الرسم يصور أعضاء المجلس الوطني بشكل كاريكاتوري (الشكل 166) وكذلك يمكن الإشارة إلى رسم الفنان «سعيد» (اسم مستعار)⁽³⁴⁾ (البورجوازي والبروليتاري) والذي يصور فيه كومونة باريس تشرق فيذهب البروليتاري إلى العمل بينما يهرب البورجوازي حاملاً أكياس النقود (الشكل 167) وكذلك رسم «مولوك» (اسم مستعار)⁽³⁵⁾ (ثلاث كومونات) والذي ينتمي إلى الملصق السياسي أكثر منه إلى الكاريكاتير (الشكل 168) وغيرها الكثير من الرسوم.

لقد جندت الكومونة كافة أنواع الفنون التشكيلية في الصراع ضد المجلس الوطني ولم تقتصر على الكاريكاتير، وإن كان الكاريكاتير هو صاحب القسط الأعظم في ذلك الصراع من بين باقي أنواع الفنون التشكيلية، وفي هذا المجال يمكن الإشارة إلى رسم الفنان الفرنسي المشهور «بيكيو» (إعدام أعضاء الكومونة) الذي نفذه بين أعوام 1871 — 1873م والذي صور فيه عملية إعدام مجموعات كبيرة من فقراء باريس وأرسلها كهدية إلى «تيير» بعد أن أرفقها بعبارة (من مؤلف اللوحة إلى مؤلف المذبحة).



الشكل (163)

(باريس تتهم.)



الشكل (162)

(« فولتير » يصفق.)

« دوميه » 1871م.



الشكل (164)

رسوم كاريكاتيرية ضد أعضاء المجلس الوطني في «فيرسال» «دوريه» 1871م.



الشكل (165)

رسوم كاريكاتيرية ضد أعضاء المجلس الوطني في «فيرسال» «دوريه» 1871م.

10 C. LA CARICATURE 10 C.
LE VOTE DE PARIS



الشكل (166)
(المجلس الوطني
وانتفاضة عمال باريس)
«يليتيل» 1876م.



الشكل (168)
(ثلاث كومونات)
« مولوك » (اسم مستعار) 1871م.



الشكل (167)
(«البورجوازي» و «البروليتاري»)
سعيد (اسم مستعار) 1871م.

أما في الفترات التي منع فيها الكاريكاتير السياسي فقد كان الفنانون يلجأون إلى ممارسة الكاريكاتير الاجتماعي وإلى الرمز فكانوا يصورون الفساد في أجهزة السلطة مهاجمين إياها هكذا بشكل غير مباشر وعلى سبيل المثال فقد قام «دوميه» بين أعوام 1837 — 1851م أي الفترة التي كان الكاريكاتير السياسي فيها ممنوعاً بتنفيذ 25 سلسلة مختلفة من الرسوم بلغ عدد رسومها ما يقارب 1200 رسم أشهرها سلسلة (روبير ماكير) التي تتألف من 120 رسماً، وسلسلة (حماة القانون) المؤلفة من 39 رسماً وسلسلة (البورجوازي النبيل) المؤلفة من 82 رسماً وغيرهم الكثير من المجموعات التي هاجم فيها فساد السلطة وأخلاق الطبقة السائدة في ذلك الوقت ومن الرسوم العائدة لهذه السلاسل ننتقي بعض الرسوم، ومنها رسمه العائد إلى سلسلة (حماة القانون) ويصور فيها خداع المحامين واستهتارهم بمشاعر الناس، حيث يقول المحامي للمرأة التي كان يدافع عنها: (حقاً لقد خسرت القضية، ولكن الحظ حالفكم بسماع مداخلتي) (الشكل 169) وفي رسم آخر من سلسلة (محامون ومدافعون) يصور «دوميه» بشكل دقيق الاستهزاء والاستهتار في ملامح وجه المحامي غير الآبه باستنكار زبونه وعدم رضاه عن النتيجة (الشكل 170) وكذلك إلى رسم آخر من سلسلة (حماة القانون) يصور فيه القضاة يغطون في نوم عميق أثناء مداخلته محامي الدفاع التي يقول فيها: (نعم أيها السادة، إنهم يريدون هضم نصيب هذا اليتيم التعيس، أنا لا أصر على أنه شاب فهو في سن الخامسة والسبعين، ولكنه مع ذلك يتيسم، إلا أنني مطمئن أيها السادة لأن عين القضاء لا تنام في وجه الظلم) وفي الجملة الأخيرة من الواضح أن «دوميه» يرمز إلى أن القانون نائم على الظلم (الشكل 171).

وفي الكاريكاتير الإنكليزي يمكن الحديث كذلك عن الكاريكاتير في الصراعات الاجتماعية والسياسية وإن لم يكن الكاريكاتير الإنكليزي بنفس المستوى الذي وصل إليه الكاريكاتير الفرنسي من الحدة والصدامية وبدأ بالذات من الرسوم التي تنتقد فرنسا وظاهرة الفرنسيين والتي اعتبرها أحد

الشخصيات الانكليزية ظاهرة مهينة للأمة الانكليزية وكان من بين أولئك الذين سخروا من الفرنسيين ونمط حياتهم عدد من رسامي الكاريكاتير ومنهم «رولاندسون»، ففي رسمه (ساحة النصر في باريس) الذي صور فيه ساحة مليئة بجمهور من المارة وفي وسط الساحة تمثال «لودوفيغ الرابع عشر»، وفي هذا الرسم أراد «رولاندسون» ليس فقط إظهار تنوع الجمهور الفرنسي وإنما كذلك السخرية من خضوع الفرنسيين للملك وأول من تناله السخرية هو «لودوفيغ الرابع عشر» نفسه الذي يجرده «رولاندسون» في رسمه من كافة مظاهر العظمة بجعله شبيهاً بقائد عسكري في مسرحية كوميدية، وفي رسمه (ثكنة فرنسية) يسخر «رولاندسون» من الانحلال الأخلاقي والفوضى التي تسود في معسكرات الجيش الفرنسي (الشكل 100) ولم ينج الجيش البريطاني كذلك من ريشة الرسامين حيث أننا يمكن أن نعثر كذلك على رسوم تسخر من الوضع المزري للجيش البريطاني ومن هذه الرسوم نذكر (الكل صالح لأن يكون ضابطاً) لـ «رولاندسون» (الشكل 94) و(الأبطال يسدون جوعهم في محل الحلويات أو نقل الحراسة إلى سأن جيمس) لـ «غيلري» (الشكل 106).

وبشكل عام فإن الكاريكاتير الإنكليزي كان ذا طابع اجتماعي لسبب أساسي هو أن رسامي الكاريكاتير الإنكليز تفرغوا للهجوم على الرموز الفرنسية وذلك بسبب الحروب والتغيرات الداخلية التي كانت فرنسا صاحبة المبادرة فيها وهذا ما تحدثنا عنه سابقاً ولذلك فقد بقيت رسوم الكاريكاتير الإنكليزية قاصرة في مجال السياسة الداخلية واكتفت بالإطار الاجتماعي للسياسة واتسمت بالعمومية إذ أننا في معظم الرسوم حتى في تلك التي تتطرق إلى أشخاص محددين نرى الحيادية والتركيز على العنصر الفكاهي في الرسم أو تصوير الانفعالات الخارجية النابعة عن حالة نفسية داخلية كما في (الجزار) و(الحذاء يعالج زوجته الفاجرة) و(الرشوة أو المقامر والفارس في سباق الخيل) وغيرها من الرسوم التي

تطرقنا إليها (أنظر الرسوم) ولكننا مع ذلك لا يمكن إلا أن نشير إلى رسوم مثل (القضاة) من سلسلة (حراس النظام) (الشكل 92) والذي يصور فيه «روندلاسون» مجموعة القضاة كوحوش اجتمعوا ليس لإقامة العدل وإنما لاقتسام الفريسة، والحامي الذي يدس النقود الذهبية ليس كمدافع عن القانون وإنما كبائع ومراب بخيل. وكذلك رسوم «رولاندسون» (المستشار) (الشكل 101) و(الحسنة) التي يصور في الأولى منها شكل المستشار الغبي وفي الثانية الفقراء الذين يملأون شوارع بريطانيا، حيث تجلس مجموعة من الضباط الإنكليز المتخمين أمام فندق ريفي ويقدمون حسنة إلى فقراء يسألونها، ولكن بمنتهى الاحتقار، وكذلك (الحارس الليلي) الذي يسير في شوارع المدينة دون أن يعير أي انتباه إلى الجرائم التي ترتكب ويفسر بعضهم هذا الرسم على أنه متابعة لرسمه (القضاة) من سلسلة (حراس القانون) ففي الأولى يقوم القضاة بتسهيل الإجرام أما في الثانية فإن الحارس يقول على لسان «رولاندسون» (إذا كان القضاة يسهلون الإجرام فلماذا أعيقه أنا) أو هكذا يظن بعضهم على الأقل إذ أن الحارس الليلي نفسه يشبه مجرمًا عاتياً كما يصوره «رولاندسون» وبشكل عام فإن هذين الرسمين إنما يصوران الانحطاط الذي وصل إليه جهاز القضاء البريطاني الذي أصبح طرفاً مشاركاً في الإجرام وليس مانعاً له. أما «نيوتن» فقد هاجم في بعض رسومه القيادة الروحية لبريطانيا آنذاك ومنها رسمه (بورتريهات القساوسة) والتي يصور فيها وجوهاً مختلفة لقساوسة مختلفين ويحمل هذه الوجوه ملامح الخبث والغباء والغرور وما إلى ذلك من سمات سيئة في الإنسان. ولعل «فودفارد» هو أكثر الرسامين الإنكليز الذين لامسوا النقطة الحساسة الواصلة بين السياسة والمجتمع وبخاصة في رسوم مثل رسمه (التوقعات، أو الضرائب القادمة) والذي تطرقنا إليه في مكان سابق (أنظر الرسم والترجمات في مكان سابق) إذ أن «فودفارد» في هذا الرسم يدين بشكل واضح سياسة

الضرائب التي تتبعها الحكومة وذلك بأنه يضع أسباباً غير معقولة لدفع الضرائب فالناس يدفعون الضريبة على القطن التي تعيش في بيوتهم وعلى الهواء الذي يستنشقونه وحتى على جلودهم، ويمكن بشكل عام اعتبار رسوم «فودفارد» أكثر الرسوم الإنكليزية ملامسة للسياسة الداخلية في إنكلترا إلى جانب رسوم «رولاندسون» المذكورة.

وبدون شك فإن «هو غارت» واحد من الرسامين الإنكليز الأوائل الذين تطرقوا إلى المجتمع والسياسة في بريطانيا والعالم ولكنه مع ذلك لا يخرج عن نطاق تلامذته اللاحقين إن صح التعبير حيث كان مثلهم في إطار المجتمع والعمومية.



الشكل (169)

(حقاً لقد خسرت القضية ولكن

الحظ حالفكم في سماع مداخلتني)

من سلسلة (حراس القانون)

«اونريه دوميه» 1848م.



الشكل (170)

(الزبون الغير راض)

من سلسلة (محامون ومدافعون) «اولريه
دوميه» 1848م.



الشكل (171)

(- نعم ايها السادة انهم يريدون هضم نصيب هذا اليتيم التعيس، أنا لا اصر على انه شاب، فهو في
سن الخامسة والسبعين، ولكنه مع ذلك يتيم، الا أنني مطمئن ايها السادة، لأن عين القضاة لاتنام في وجه

الظلم)

« اولريه دوميه » 1845م.

ولعل فن الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأقل حظاً من الدراسة، حيث أن الأدبيات نادراً ما تتطرق له وخاصة في مجال السياسة ولذلك فسوف نتوقف عنده بنوع من التفصيل، والسبب في قلة الدراسات هذا برأينا هو أنه لا توجد مدرسة فنية أمريكية بالفعل في فن الكاريكاتير وهي إن وجدت فإنما وجدت في القرن العشرين، ولكن هذا لا يعني أن فن الكاريكاتير لم يكن له دور فعال في الصراعات الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة، وإن كان الكاريكاتير الأمريكي مكوناً من رسومات فنانين ينتمون إلى مدارس أوروبية مختلفة فهذا لا يعني أنه غير جدير بالدراسة وإنما يعطي له طعماً خاصاً إذ يجعله مجموع محصلة هذه المدارس . ومن أوائل رسامي الكاريكاتير الذين بقيت أعمالهم حتى وقتنا الحاضر يمكن الإشارة إلى الرسام «دوف» الذي ليس هناك كما ذكرنا معلومات مفصلة عن حياته والذي تعود رسومه إلى الربع الأخير من القرن الثامن عشر والتي كانت تصور بشكل أساسي حياة المدينة حيث كان في معظم الرسوم مجموعتان من سكان المدينة يتناقشون بأمر السياسة بشكل سلمي، والاستنتاج بأن «دوف» كان يصور المدينة مستقى من خلفيات رسومه التي كانت في أغلب الأحيان تتشكل من مناظر المدينة، حوانيت أو مبان من عدة طوابق أو ما شابه أو تدور أحداثها في مقهى أو أمكنة أخرى من الأمكنة التي تتواجد في المدن. ومن رسوم «دوف» نذكر رسمه (ضد الجمهور) الذي يتحدث فيه عن نشاط «بنجامين فرنكلين» الذي يصوره «دوف» إلى اليمين والشيطان يهمس في أذنه ومن المعروف أن «فرنكلين» كان من الدعاة الأوائل لاستقلال المستعمرات الإنكليزية في أمريكا، الأمر الذي لم يلق استحسان الجمهور (الشكل 172) وفي رسم لمؤلف مجهول يعتقد أنه فرنسي الأصل على أغلب الظن يصور الرسام الرئيس «جيفرسون» واضع وثيقة الاستقلال الأمريكية جاثياً على ركبته أمام مذبح كتب عليه (مذبح الاستبداد الفرنسي)

حيث تحرق مؤلفات «فولتير» و«روسو» وغيرهما من المنورين الفرنسيين، وفي الرسم يحاول «توماس جيفرسون» إلقاء الدستور الأمريكي في النار ولكن النسر الأمريكي يختطف الدستور من يده بأمر الرب الذي ترمز إليه العين في أعلى الرسم وهذا الرسم نشر في أغلب الظن ضد «توماس جيفرسون» في حملة الانتخابات الرئاسية عام 1800م (الشكل 173)، وقد ساهمت حملات «نابليون» في أوروبا في دفع الكاريكاتير الأمريكي أيضاً إلى التطور فقد كانت وسائل البريد قد تطورت نسبياً بالمقارنة مع القرن الثامن عشر حيث كان وصول الرسائل يستغرق من خمسة أشهر إلى عام كامل، ولهذا فقد انعكست صراعات «نابليون» في أعمال الفنانين الأمريكيين فكانت الرسوم التي تتطرق إلى هذا الموضوع تنشر بشكل مكثف في الصحف الأمريكية، وفي هذه المرحلة يظهر تأثير المدرسة الإنكليزية الواضح في الكاريكاتير الأمريكي إذ كان الكثيرون من الرسامين الأمريكيين متأثرين بأساليب «رولاندسون» و«غيلري» وغيرهما من الرسامين الإنكليز مما أدى بطبيعة الحال إلى أن تكون معظم الرسوم التي تطرقت إلى موضوع نابليون في موقع العداء له ومع ذلك فإن هذه الرسوم لم تصل في حدتها ولنقل قسوتها إلى المستوى الذي وصلت إليه رسوم الكاريكاتير الإنكليزية ومن هذه الرسوم الرسم الذي تحدثنا عنه للفنان الأمريكي «دوليتل» (نابليون في محنة)، كما وجد الكاريكاتير مادة خصبة في الحرب الإنكليزية الأمريكية عام 1812م حيث كانت سفن الأساطيل الإنكليزية ترابط في المياه الإقليمية الأمريكية، الأمر الذي دفع رسامي الكاريكاتير إلى المساهمة في هذه الحرب، ورغم أن الكثيرين من رسامي الكاريكاتير من أصل إنكليزي وبعضهم هاجر منذ وقت بسيط إلا أن الجميع وقفوا موقف العداء من بريطانيا .

في هذه المرحلة ظهرت أسماء مثل «تشارلز» الذي تميز برسومه التي تعالج هذا الموضوع ومن هذه الرسوم نذكر رسماً له يصور فيه ثلاثة بحارة

أمريكيين يجلسون في مقهى ويتحدثون إلى بحار إنكليزي قادم إليهم من كهف ممزق الثياب، وفي الرسم يسخر «تشارلز» من أعضاء حزب المحافظين الـ (توري)⁽³⁶⁾ الذين يصورهم على أشكال قرود تقرأ الصحف، البحار البريطاني يحذر في حديثه البحارة الأمريكيين من مغبة متابعة الحرب ضد بريطانيا مهددا إياهم بالسجن ومحاولا إقناعهم بأن وطنهم الحقيقي هو بريطانيا، أما الجواب القاطع الذي يتلقاه فهو أنهم سوف يتابعون الحرب ضد بريطانيا (الشكل 174)، وفي رسمه (الملكة شارلوت وجون بول) (1813م) والمستوحى من هزيمة الأسطول البريطاني أمام الأسطول الأمريكي، وكانت إحدى سفن الأسطول البريطاني تحمل اسم الملكة «شارلوت». ويرمز «تشارلز» إلى بريطانيا بعجوز مصاب بالنقرس غارق في كرسي وكأنه غرس فيها، وقد أصيب بالهلع لرؤيته امرأة تحمل زجاجة انطلقت منها أسماء السفن الأمريكية التي حققت الانتصار على الأسطول البريطاني. ويرمز «جون بول» إلى عجز بريطانيا وأما المرأة الممتلئة بالحيوية فترمز إلى أمريكا (الشكل 175).

وعن التأثير الدعائي لمثل هذه الرسوم يقول أحد النقاد الأمريكيين: (لقد كان تأثير هذه الرسوم الكاريكاتيرية كبيرا جدا في مرحلة غابت فيها الصحف والمنشورات الدورية، حيث لاقى هذا النوع من الرسوم شعبية كبيرة، في أعوام النضال من أجل الاستقلال نما الدور الثوري لهذه الرسوم وعدا عن ذلك فقد تحولت إلى وثائق تاريخية مهمة وضرورية لفهم الأمة الأمريكية).

أما المرحلة اللاحقة لتطور فن الكاريكاتير الأمريكي فكانت بعد ظهور تقنيات «الليثوغرافيا» هناك حيث أخذت هذه التقنية تعتمد بشكل تدريجي أكثر من التقنيات الأخرى إلى أن أصبحت التقنية الأساسية مما أدى إلى ظهور الرسوم المطبوعة بأعداد كبيرة في أمريكا في العشرينات من القرن التاسع عشر،

تلك الرسوم التي كانت أكثر إتقاناً وأكثر تطوراً من سابقتها من الرسوم الكاريكاتيرية الأمريكية.

وقد عاجلت رسوم الكاريكاتير الأمريكية في موضوعاتها بشكل أساسي نشاط الرؤساء الأمريكيين والأحزاب السياسية الأمريكية المختلفة، ومن الجدير بالذكر أن الكاريكاتير الأمريكي في هذه المرحلة تأثر كثيراً بالكاريكاتير الفرنسي الناهض في ذلك الوقت وبخاصة بأعمال «غرانفيل» و«ديكان» و«دوميه» وغيرهم من الفنانين الفرنسيين، وهذا ما نراه في عمل مجهول المؤلف يعود إلى عام 1834م يصور فيه الرسام الرئيس «جاكسون» على شكل عفريت له ذيل وجناحان وقرنان ومخالب ويمسك بكلتا يديه حبلاً علقته في هياكلها أكياس نقود وأسلحة وقبعات نسائية ومأكولات وأشياء كثيرة أخرى تمثل الوعود التي يصرح بها «جاكسون» ، وفي الأسفل تجمع جمهور من رجال الأعمال وأصحاب البنوك والساسة والموظفين وإلى ما هنالك من الفئات الاجتماعية المشابهة وكل منهم يبذل الجهود للحصول على هذه الأشياء المعلقة إلا أنهم لا يفوزون بشيء (الشكل 176) وفي هذا الرسم الكاريكاتيري يهاجم الرسام «الديماغوجية» التي يتسم بها الرئيس «جاكسون» للحصول على شعبيته حيث كان يطلق الوعود الكثيرة التي تلامس أحلام الناس ولا يحقق منها شيئاً. وفي رسم (القضاء على الثروة) «للفنان إدوارد» كيللي يتم كذلك التعرض لعادة التضليل والثروة عند الرئيس «جاكسون» ، حيث يقوم أحدهم بشد الرئيس «جاكسون» إلى كرسي ويخيط فمه أما الشخص الذي يخيط فم الرئيس فهو غير معروف ولكنه يمكن أن يكون «دانييل ويبستر» الذي كان يتزعم حزباً يمثل صناعي الشمال والذي كان المعارض الأساسي للرئيس «جاكسون» (الشكل 177).

وفي رسم آخر يصور «كلي» إغلاق البنك الأمريكي (الشكل 117). وقد تم إغلاق البنك الأمريكي بقرار من الرئيس «جاكسون» ، ومن المعروف بأن هذا العمل سيؤدي إلى إضعاف علاقة الأوساط المالية الأمريكية ببريطانيا التي كانت الممول الأساسي لذلك البنك، على العلم الأمريكي كتبت جملة (4 تموز 1837م الذكرى السادسة عشر لاستقلالنا) وفي الوسط من الأعلى قبعة الرئيس ونظارته وفي مكان الوجه كتبت كلمة (المجد) وفي الأسفل من اليسار مجموعة من السكارى في كوخ وضع ينظر إليهم بلا مبالاة ضابط أمريكي يجلس على مقعد وإلى اليمين بورجوازي سمين يتحسّن على امرأة معها طفل، ومن غير المعروف هل يؤيد «كلي» في هذا الرسم الرئيس «جاكسون» أم يعارضه. ولكنه بدون شك حاول في رسمه إظهار اختلاط كافة أشكال العلاقات الاجتماعية في ذلك الوقت ببعضها بعضاً، وفي هذا الرسم يبدو واضحاً تأثر الفنان برسوم الإنكليزي «هو غارت» الذي كان يعطي لرسومه بعداً مسرحياً ويقدم بنفسه الوقت عدة مشاهد مختلفة ولكن تأثره بـ«هو غارت» يبقى في الأسلوب فقط أما الشخصيات التي يرسمها فهي شخصياته المستقلة.

وفي الأربعينات من القرن التاسع عشر يتعرض الكاريكاتير في أمريكا إلى تدنٍ في الكم والنوعية، ويعزو الباحثون ذلك إلى عدم حصول أحداث تاريخية مهمة في تلك الفترة، وقد استمرت الحال على هذه الشاكلة حتى الستينات من ذلك القرن حيث انتعش فن الكاريكاتير مرة أخرى لسببين أحدهما احتدام الحياة السياسية والثاني ظهور الصحافة الساخرة المصورة فقد اندلعت الحرب الأهلية عام 1861م واستمرت حتى 1865م وتم بنتيجتها إلغاء العبودية من المجتمع الأمريكي بشكل رسمي.

موضوع الصراع بين الجنوب المتمسك بالعبودية وبين الشمال الديمقراطي أصبح الموضوع الأساسي لرسوم الكاريكاتير المنشورة في ذلك الوقت وذلك

لأن هذه الحرب أدت إلى تغيرات جذرية في كافة مجالات الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذه الفترة بالذات ظهرت أسماء مثل «كيلر» و«أرت فروست» (1851 — 1928م) و«أوبر» و«ناست» و«دافنبورت» (1861 — 1912م) وغيرهم من الفنانين الذين يمكن ملاحظة تأثير الكاريكاتير الفرنسي في أعمالهم وخاصة «دوميه» و«فورين» و«شام» و«ترافيس»، أما تأثير «دوميه» فقد تجلى في جدية الموضوعات المعالجة وكذلك في أسلوب الفضح الحاد.

وقد صورت هذه الرسوم مختلف الأحداث التي جرت في الولايات المتحدة، ومن الجدير بالذكر أن ممارسات الرئيس «لنكولن» لاقت في ذلك الوقت تاييدا من قبل جماهير الشعب وهذا ما انعكس في فن الكاريكاتير ولعل من أكثر الرسوم نجاحاً في هذا المجال هو رسم الفنان «فرانك بيلو» الذي نشر في مجلة (Harpers Weekly) على إثر إعادة انتخاب الرئيس «لنكولن» لفترة ثانية في عام 1864م ويصور الرسام فيه عملاقاً بثياب بحار يمثل الأغلبية الساحقة من الشعب الأمريكي (كما توضح الكتابة على قبعته) وعلى كتفه رئيس الولايات المتحدة «لنكولن» متوجهاً إلى البيت الأبيض، بينما يحمل شخص آخر صغير القامة يمثل الأقلية على كتفيه شخصاً يشبه الشيطان ربما هو خصم «لنكولن» في الانتخابات، (الشكل 178).

ومن الفنانين الأمريكيين البارزين يمكن التوقف بشكل خاص عند «ناست» الذي يعتبر من أمهر رسامي الكاريكاتير في الولايات المتحدة في ذلك الوقت والذي صور في رسومه مواضيع مختلفة ننتقي منها رسمه (مساومة مع الجنوب) حول قبر كتب على شاهدته (ذكرى أبطال الاتحاد) أي اتحاد الولايات الشمالية، وفوق القبر فتاة تبكي بينما يضع الجندي المسلح بالسدس والسوط والسيف رجله على القبر بشكل وقح، وفي الوقت الذي يقوم فيه الجندي الجنوبي بمصافحة الجندي الشمالي يقوم الأول بكسر السيف الموضوع فوق القبر

لتمجيد القتلى الشماليين برجله وخلفه أسرة زنجية مقيدة بالأصفاد (الشكل 179) وفي هذا الرسم يبين الفنان عدم جدوى المساومة مع الجنوب ويدعو للنضال حتى النهاية للتخلص من نظام العبودية الذي يتمسك به الجنوب. وقد قال الرئيس الأمريكي «لينكولن» عن أعمال «ناست» (لقد ظهرت رسومه في الوقت المناسب وأدخلت بشكل مباشر إلى وعي القراء ضرورة إنهاء هذه الحرب). وبعد الحرب تابع «ناست» نشاطه باتجاه فضح الظواهر السلبية في المجتمع وكان الفساد قد تفشى في أجهزة السلطة وخاصة ظاهرة الرشوة التي كان بطلها محافظ «نيويورك» المذكور الذي صورته في سلسلة (الملوك تويد) ومنها رسمه (الذين ينتظرون العاصفة) (الشكل 115) وكذلك في رسوم أخرى كان ينشرها في مجلة (Harper's Weekly) التي أصبحت من ألد أعداء المحافظ الذي ينتمي إلى الحزب الجمهوري والذي لجأ إلى أساليب عدة للتخلص من الرسام ومن هذه الأساليب أنه عرض عليه نصف مليون دولار أمريكي مقابل هجرته إلى أوروبا وتوقفه عن نشر الرسوم في أمريكا العرض الذي لم يقبله الفنان بطبيعة الحال والذي ما كان ليؤدي فائدة كبيرة للمحافظ المذكور إذ أن أعمال «ناست» الكاريكاتيرية كانت تلاقى شعبية كبيرة حتى في أوروبا ومن الطريف أن «تويد» بعد انكشاف أمره ولكي ينجو من وجه القانون فقد هرب إلى إسبانيا فتعرفت عليه الشرطة بمساعدة رسوم «ناست» بالذات والتي جعلت من وجهه صورة مألوفة مما مكن من إلقاء القبض عليه دون سابق تصميم. ويجدر بالذكر هنا أن شعاري الحمار والفيل للحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة قد استمدا من رسوم ناست الكاريكاتيرية.

وفي السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر لمع اسم الفنان «جوزيف كيبيلر» الذي عمل في مجلة (Frank Leslie illustrated news) منذ عام 1870م وحتى عام 1876م وبعد ذلك في مجلة (Judge) وفيما بعد أسس مجلة ساخرة اسمها

(Puch) والتي ظهرت على صفحتها «الليثوغرافيا» الملونة لأول مرة في الصحافة الأمريكية، وقد تميزت رسوم «كيبلر» كذلك بالحدة مثلثه في ذلك مثل «ناست» ومن رسومه يمكن الإشارة إلى رسمه (الحزب المستقل) الذي يتطرق فيه إلى تأسيس حزب جديد في ذلك الوقت اسمه الحزب المستقل ويصور فيه شاباً يحمل أدوات العمل ويسأل «العم سام» أن يسمح له بالعمل مكان هذين المزارعين اللذين يتقاتلان على الدوام بدلاً من العمل، في هذا الرسم يصور «كيبلر» العم سام (أمريكا) كمزارع غير راض عن العمل في مزرعته والذي يقوم به مزارعان (الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي) وفي هذا الرسم يبين «كيبلر» بشكل واضح موقفه من الحزبين المتناوبين على السلطة في الولايات المتحدة، (الشكل 180) .

وفي رسمه (سندريلا) يتطرق «كيبلر» إلى المساعي الديمقراطية لرجل السياسة البارز آنذاك (هيس) والذي لا تجد اقتراحاته تجاوباً من الأوساط السياسية الحاكمة في الولايات المتحدة ويصور الرسام (هيس) على هيئة «سندريلا» يجلس على كرسي يحضر الطعام في المطبخ ويصور أعدائه السياسيين على هيئة أختي «سندريلا» اللثيمين ذاهبتين إلى حفلة الرقص التي دعى إليها الأمير (الشكل 181) ومن الواضح أن الرسام أراد من جهة أن يصور دناءة أعداء «هيس» ومن ناحية ثانية أن يصور «هيس» كمنتصر في القضية في نهاية المطاف تبعاً لما ورد في حكاية «سندريلا» وأما الأوساط الحاكمة فهي وإن غابت عن الرسم تعتبر زوجة الأب في الرسم.



الشكل (172)

(ضد الجمهور: الرد المناسب للأغبياء من الجمهور وللذين يدفعونهم الى هذا العمل)

«دوف» 1780 م.



الشكل (173)

(رسم كاريكاتيري يسخر من الرئيس

« جيفرسون »)

رسام امريكي مجهول 1800 م.



الشكل (174)

(رسم كاريكاتيري ضد بريطانيا)«تشارلز» 1812م.



الشكل (175)

(الملكة «شارلوت» و«جون بول»)«تشارلز» 1813م.



الشكل (176)

(رسم كاريكاتيري ضد الرئيس «أندريو جاكسون»)

رسام مجهول 1834م.



الشكل (177)

(القضاء على الثروة)

« كلي » 1835م.



الشكل (178)
 (الأكثرية تحمل « لنكولن » بنجاح الى البيت
 الأبيض.)
 « بيلو » 1864م.



الشكل (179) (الصلح مع الجنوب) « ناست » 1864م.



الشكل (180) (الحزب المستقل) «كيلر» 1885 م.



الشكل (181)، («سندريلا»)، «كيلر» 1880 م.

دور الصحافة التاريخي في تطوير فن الكاريكاتير:

لقد كان فن الكاريكاتير في بداياته الأولى لا يختلف بشيء عن باقي أنواع الفنون التشكيلية في تقنيات التنفيذ، إذ كان الكثير من الفنانين يرسمون لوحاتهم الكاريكاتيرية بالزيت والماء وغيرها من التقنيات المعقدة التي تتطلب وقتاً وجهداً كبيرين، ولهذا فإن الكاريكاتير كان يبحث لنفسه عن منفذ آخر وعن تقنيات تلائم طبيعته ولذلك فقد ارتبط بتقنيات الغرافيك القابلة للطباعة والنسخ مثل الحفر على الحجر والحفر على الخشب والحفر على النحاس وغيرها من تقنيات «الغرافيك» مما سهل انتشاره ووفر الجهد والوقت لإنتاج أعمال أكثر ولهذا فإن الكثيرين يسمون الكاريكاتير بـ (ابن الغرافيك الشرعي) وهم يحقون بذلك إذ أن الكاريكاتير في معظمه مازال يستخدم تقنيات الغرافيك حتى عصرنا الحاضر. وكما رأينا فإن الكاريكاتير باعتماده هذه التقنيات أصبح يكتسب الطابع الشعبي ويخرج خارج حدود المعارض الفنية والأعمال التي تعتمد على العرض الفني الذي يكتسب جمهوره من الأوساط المثقفة والمهتمة بالفن بشكل أساسي، وأصبحت أماكن العرض بالنسبة للكاريكاتير الجدران وجذوع الأشجار والحانات وواجهات الدكاكين وما شابهها من الأماكن التي تشهد تجمعات جماهيرية ما. وهكذا أمنت هذه التقنيات اتصالاً أوسع بفئات أكبر من الجمهور للكاريكاتير ومن فئات مختلفة. إلا أن الطموح الكبير إلى الانتشار لم يكن

ليسمح للكاريكاتير بالتوقف عند هذا الحد، إذ أن هذه التقنيات رغم توفيرها للانتشار إلا أنها كانت غير قادرة على تأمين الانتشار خارج حدود بلد أو مدينة أو حتى قرية محددة في بعض الأحيان وذلك لعدة أسباب منها على سبيل المثال أن هذه الرسوم كانت في معظم الأحيان تستخدم في الحروب والصراعات وتحمل موضوعات سياسية محرمة خارج حدود البلد الذي تصدر فيه حيث كان يسيطر الخصم، ومنها كذلك أن المواد التي كان يطبع الرسم بوساطتها (الكليشيئات) كانت غير قابلة لتأمين طباعة عدد كبير من الرسوم، وإضافة إلى هذا وذاك فإن السبب الرئيسي باعتقادنا هو غياب نظام للتوزيع كما هو الحال في الصحافة، ولذلك فإن الكاريكاتير أخذ يبحث عن منافذ جديدة تؤمن انتشارا أوسع إلى أن اهتدى إلى الصحافة.

والسبب في عدم ارتباط الكاريكاتير بالصحافة منذ بداية وجود الصحافة هو عدم استخدام تقنية الطباعة الحجرية في النظام المطبعي الذي كان سائدا لوقت غير قليل، هذا من جهة، أما من جهة ثانية فإن الصحافة في بداية ظهورها لم تكن وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري كما هي عليه الآن، حيث كانت عبارة عن نشرات دورية توزع على الطرق التجارية وتحتوي على معلومات عن الأوضاع الأمنية للطرق التجارية في بلدان مختلفة لكي يتفادى التجار المرور في الطرق التي تتكاثر فيها عصابات قطاع الطرق أو تدور فيها صراعات محددة، وفيما بعد كانت الصحف عبارة عن نشرات رسمية تتضمن القرارات والقوانين الرسمية التي اتخذتها الدولة ومعلومات محددة عن نشاطات القصر وما شابه من المعلومات الرسمية، إلى أن ظهرت الصحف الأدبية والسياسية. وكان ظهور الصحافة الأدبية والسياسية مرافقا تقريبا لبدء استخدام تقنية الطباعة الحجرية (الليثوغرافيا) في الأنظمة المطبعية وهكذا أخذت الصحف والمجلات تنشر رسوما محددة كانت في معظمها تصور أعمالا أدبية منشورة في هذه الصحف، إلا أن

الكاريكاتير عرف انتشاره الأول في الصحافة عبر الصحافة الساخرة التي كانت منيراً لنشاط الكاريكاتير ونافذة لرسامي الكاريكاتير على العالم. وأول ظهور على صفحات الصحافة الجامعة ربما يعود إلى الصحف البريطانية مثل (مجلة الجنتلمان Jentelman Magazine) و(المجلة الجامعة Universul magazine) و(مجلة الرحالة Travellar s Magazine) و(مجلة النساء Lady s magazine) وغيرها الكثير من الصحف والمجلات التي فاق عددها المائة، وكانت الرسوم بشكل عام تعالج مختلف الموضوعات إلا أنها كانت قليلة العدد وكانت تقتصر على رسوم فنانين محددين، ومن الرسامين الذين مارسوا الكاريكاتير في الصحافة يمكن ذكر «بانيري» بشكل أساسي.

أما أول صحيفة ساخرة فقد ظهرت في فرنسا عام 1830م وكان اسمها (الكاريكاتير La caricature) وكان مؤسسها «شارل فيليبون» الكاتب الساخر والصحفي والناشر والرسام الفرنسي المشهور الذي أسس كذلك صحيفة أخرى ساخرة في عام 1832م سماها (الصرخة Charivari) ولدينا رسم كاريكاتيري يمثل العاملين في هذه المجلة ويدعى مهرجان «شاريفاري» (الشكل 182).

وقد عمل في هاتين الصحيفتين معظم ألمع رسامي الكاريكاتير الفرنسيين الذين تطرقنا إليهم في باب سابق ومعظم رسوم «دوميه» التي ذكرناها كانت قد نشرت في هاتين الصحيفتين. وقد كان «غرانفيل» من الرسامين الذين عملوا بشكل دائم إلى جانب «دوميه» في هاتين الصحيفتين وكانت رسومه تتصدر الأغلفة أحياناً بالتناوب مع «دوميه» وكذلك تزين رؤوس الأعمدة في صفحات الجريدة.

أما في بريطانيا فقد كانت صحيفة (البقدونس Punch) التي ظهرت عام 1841م أول صحيفة ساخرة مصورة في بريطانيا ، وفي ألمانيا كانت أول مجلة

ساخرة هي مجلة (القصاصات الطائرة Fliegende Blatter)، التي ظهرت عام 1844م، أما في الولايات المتحدة فكانت أول صحيفة ساخرة هي (أسبوعية هاربر Harper's Weekly) وقد ظهرت عام 1857م، أما أول محاولة لإصدار مجلة ساخرة فكانت في روسيا حيث قام الفنان الروسي فينيسيانوف بإصدار مجلة أسماها (مجلة الكاريكاتير) ولكن هذه المجلة لم تكتب لها الحياة لأن القيصر «ألكسندر الأول» أصدر أمراً بإغلاقها وكان قد أصدر منها عدداً أو عديدين وبهذا تكون هذه المحاولة قد باءت بالفشل، وكانت هذه المحاولة قد جرت في عام 1812م.

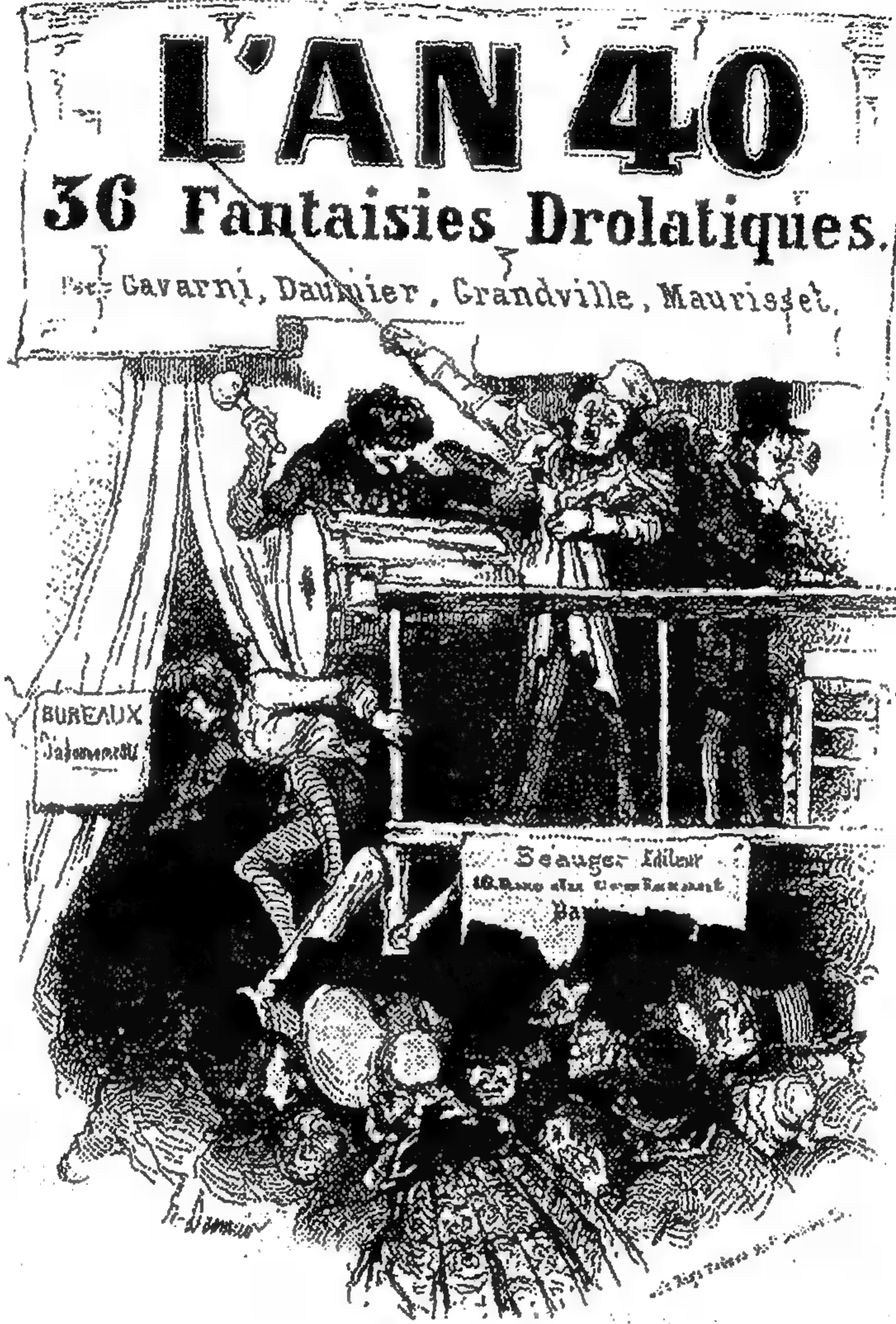
أما أسباب ارتباط الكاريكاتير بالصحافة برأينا فهي تشابه الوظائف بين الصحافة والكاريكاتير الأمر الذي يجعل الصحافة بحاجة إلى الكاريكاتير والكاريكاتير بحاجة للصحافة.

بعد ظهور الصحف المصورة الساخرة المذكورة أخذت هذه الظاهرة تنتشر وتتطور إلى أن أصبحت ظاهرة هامة في الصحافة في جميع الدول المتطورة في ذلك الوقت وأخذت القوى السياسية والأحزاب تبني هذه الصحف وتدعمها، وبنفس الوقت فقد تحولت هذه الصحف إلى منابر لرسامي الكاريكاتير على مختلف منابعم السياسية، فكانوا يلتقون من خلال صفحاتها مع الجمهور ويحصلون على شعبيتهم بوساطتها فكانت مجلة «الكاريكاتير» ومجلة «شاري فاري» منبراً لـ «دوميه» و«غرانفيل» و«ترافيس» وغيرهم من الرسامين وكانت مجلة (البقدونس Punch) الإنكليزية لرسام الكاريكاتير الإنكليزي «ليتش» وغيره، ومجلة (أوراق طائرة Fliegende Blatter) الألمانية منبراً لـ «بوش» و«أوبيرلندر» وغيرهما، و(الكسوف Leclipse) الفرنسية منبراً لـ «غريفان»، و(الكاريكاتير) منبراً لـ «لوك» و(مجلة البريد الفرنسي Le courrier Francais) منبراً لـ «لوغران»، و(المختمة Triboulet) منبراً

لـ«بلاس»، و(الجلجل) لـ«مولوش» و«بيان»، و(القذيفة La Bombe) لـ«ألفريد لويت» و«بول دوسمان»، وفي الولايات المتحدة كانت مجلة (أسبوعية هاربر Harper's Weekly) منبراً لكل من «فورست» و«هومير» و«ناست» وغيرهم وكانت مجلة (أخبار فرانك ليسلي المصورة Frank Leslie Illustrated News) منبراً لـ«هنري كارتير» مؤسس المجلة، وكل من «أوبير» و«دافينبورت» و«فريدمانت» وغيرهم، وهكذا دواليك في مختلف دول العالم التي كانت تصدر فيها المئات بل ويمكن الآلاف من هذه الصحف. ومن الجدير بالذكر أن هذا التقليد مازال رائجاً حتى عصرنا الحاضر حيث لا تخلو قائمة الصحف في أي بلد من صحيفة أو أكثر من الصحف الساخرة إلا إذا استثنينا مع الأسف وطننا العربي الذي يخلو من مثل هذه المطبوعات اللهم إلا إذا اعتبرنا بعض المطبوعات الفكاهية، صحافة ساخرة وهذا مالا نستطيع قوله لأن هذه المطبوعات تعتمد بالأساس على النكات والرسوم المستوردة والمنقولة عن صحف فكاهية أجنبية وإن كنا لسنا ضد الفكاهة فنحن نؤكد أن مثل هذه الصحف لا تغني أبداً عن الصحافة الساخرة، علماً بأن الوطن العربي لم يخل من مثل هذه الصحف في فترات سابقة بل إنه كان يعج بالصحف الساخرة وخاصة في مصر وفلسطين ولبنان والعراق وسورية في بداية القرن العشرين، ومن هذه الصحف على سبيل المثال صحيفة (الكشكول) المصرية، و(المضحك المبكي) السورية، ونحن نرى أنه من واجب الكاريكاتيريين العرب في كل بلد التفكير بهذا الموضوع بشكل جدي وإلا فإننا نتخلف عن ركب الحضارة في هذا المجال الهام.

وقد دارت على صفحات الصحف الساخرة المتناقضة الأهداف معارك كاريكاتيرية حادة في مختلف البلدان وفي مختلف المراحل التاريخية، ولو تسنى للبشر الاطلاع على أرشيفات الرقابة في مختلف دول العالم لعثروا على رسوم كاريكاتيرية لعظماء السياسة في العالم بأشكال ما كانت تخطر لهم على بال، ولا

يعني كون «هتلر» بطلاً رئيسياً للكاريكاتير في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها أن «ستالين» و«تشرشل» و«ديغول» وغيرهم من ساسة تلك المرحلة لم يجدوا اهتماماً كافياً لدى رسامي الكاريكاتير، ولو أمكن إقامة متحف للكاريكاتير يضم الأهداف التي تعرضت للتضخيم والمبالغة لدخل إلى جانب غرة «هتلر» وشاربه المربع أنف «ديغول» وقبعته الأسطوانية وسيغار «تشرشل» وشاربا «ستالين» القفقازيين وجليونه وملامح كثيرة مميزة أخرى مما يميز الزعماء السياسيين. ولم يكن الكاريكاتير دائماً مصدراً للإزعاج بالنسبة للسياسيين، ففي الوقت الذي كان بعض السياسيين يعتبرون رسامي الكاريكاتير مشاركين في مؤامرة ضدهم كالألماني «هلموت سميت» فإن البعض الآخر كان يعتبر الكاريكاتير معياراً لطبوط أو ارتفاع شعبيته كـ«شارل ديغول» الذي كان ما يزعجه فقط هو أن رسامي الكاريكاتير لم يعيروا الاهتمام إلا لأنفه، فقد قال مرة: (لقد تدنت شعبيتي في فرنسا، فأنا لا أرى نفسي في رسوم الكاريكاتير التي تنشرها الصحف)، وعلى العموم فإنه في وقتنا الحاضر لا يمكن أن نتصور كاريكاتيراً بلا صحافة أو صحافة بلا كاريكاتير، وحتى تلك الصحف المتخصصة بمواضيع لا علاقة لها بالفن والسخرية مثل الصحف الاقتصادية وغيرها أصبحت تنشر رسوماً كاريكاتيرية وبعض منها ينشر هذه الرسوم مع المقالات الافتتاحية أو مكافئها أحياناً، أما في الصحافة العربية فإن الكاريكاتير في البداية لم يلق الاهتمام الكافي إلا أنه أخذ يقترب من الصفحة الأولى في الكثير من الصحف، ويشغل جزءاً من الصفحة الأولى في بعضها أما تلك الصحف التي تخلو من الكاريكاتير فإن ذلك يعود لنقص في تلك الصحيفة وليس لأمر آخر.



الشكل (182)

(رسم كاريكاتيري يصور هيئة تحرير مجلة «شاريفاري»، «دوميه» يعزف على المزمار، و«ترافيه» يعزف على البوق، و«أوير» يؤشر بالعصا، و«شارل فيليون» يعزف على الطبل)

«اونريه دوميه» 1839م.

الهوامــــــــــــــــــــــــش

1- «الميدوزا»: هي في الأسطورة اليونانية واحدة من ثلاث أخوات مجنحات هن أشكال عجيبة، كن يحولن من ينظرن إليه إلى حجر، وكانت «الميدوزا» تختلف عن أختيها بأنها قابلة للموت بينما أختاها خالدتان، وقد قام «بيرسيوس» بقطع رأسها وأهداه إلى أثينا إلهة الحرب التي قامت بتعليقه على درعها، وكانت صورها وتمثيلها تعلق على بوابات البيوت ودروع المحاربين، كطلسم يبعد الخطر.

2- «أفروديت»: إلهة الحب والجمال، في الأسطورة اليونانية، وهي ذات أصل آسيوي، ومأخوذ من إلهة الخصب في الأسطورة البابلية والفينيقية «عشتار» و«عشتاروت».

3- «ديونيس»: ابن زيوس «زيفس» كبير الآلهة، وهو إله الخضرة، وحمي الكروم والخمر.

4- «سيلين»: هو في الأسطورة اليونانية عفريت، وأحد الحوريات اللواتي أشرفن على تربية «ديونيس»، وقد صورته الأسطورة سكيراً، طيب القلب يحب الموسيقى والغناء، وسميناً مثل خابية الخمر، ويقال إنه حددت في الأسطورة أيضاً جائزة كبيرة لمن يشاهد سيلين غير سكران.

5- «مارسيوس»: هو في الأسطورة اليونانية مخلوق ينتمي إلى عالم الآلهة، سمي باسمه أحد فروع نهر «مياندر» في آسيا الصغرى، وهو شبيه بـ«سيلين» ومرافق للإله «ديونيس»، ويحكي في الأسطورة أن «مارسيوس» وجد نايأ كانت قد رمته إلهة الحرب أثينا وكان يعزف على هذا الناي، ولـ«مارسيوس» مصير مأساوي حيث دعا «أبولون» للنزال وهزم أمامه، ولأنه تجاسر على

تُحدي «أبولون» فقد قام الأخير بسلخ جلده، وعلقه على شجرة في إحدى مدن آسيا الصغرى، وكان جلد «مارسيوس» عندما يعزف أحد على الناي يرتجف، أما دمه فقد تحوّل إلى النهر الذي ذكرناه.

٦- «بلوتون» (وله أسماء أخرى): هو إله مملكة الموتى، وهو شقيق «زيوس».

٧- «برياب»: هو في الأسطورة اليونانية إله البساتين والحقول، وحمي قطعان الماعز، وهو ابن «ديونيس»، (وفي بعض الأساطير ابن «أدونيس» وأحياناً ابن «هرمز»).

٨- «هرمز» (وله أسماء أخرى): ابن «زيوس»، في بعض الأساطير إله تربية الماشية، وحمي الرعاة، وفي بعضها الآخر يمثل قوى الطبيعة، وكان أول من طلب تقديم القرابين بإشعال النار وذلك لكي يعلم الناس إشعال النار. ويشبهه بعضهم في هذا المجال بـ «برومثيوس»، كما أنه كان يرافق أرواح الموتى إلى مملكة الأموات، وتنسب له أشياء أخرى كثيرة.

٩- «ساتير»: مخلوقات إلهية دنيا في الأسطورة اليونانية، كان يطلق على الواحد منها اسم «ساتير»، وهي عبارة عن عفاريت كانت تضيء لـ «ديونيس»، وقد صورّتهم الأسطورة كسالى، شهوانيين وأنصاف سكارى، مشغولين دائماً باللعب والرقص.

١٠- «بوزون»: هو فنان إغريقي صور الناس بشكل قبيح، فإلى جانب الفنانين الذين مجدوا في الفن الجمال المثالي للمواطن المثالي، والآلهة الأولمبية، كان هذا الفنان ينفذ أعماله بشكل مغاير تماماً، ورغم أن ما تبقى عنه هو القليل القليل، فإن هذا القليل يكفي لأخذ فكرة عن أسلوبه الفني، فهو على ما يبدو قام بتصوير الملامح الضاحكة والقبيحة، ومن الممكن جداً أن رسومه كانت ساخرة،

ففي مرحلة الصراع السياسي الحاد في العقد الأخير من القرن الخامس ق.م كان لا بد من ظهور مثل هؤلاء الفنانين، فرسومهم الساخرة اللاذعة كانت قادرة على السخرية من الأعداء السياسيين، تماماً كما ظهرت كوميديا «أرسطوفان» في الأدب، ويبدو أن «بوزون» كان له تلاميذه وأنصاره، لأن «أرسطو» في أكثر من مكان في أعماله يقارنه برسام آخر هو «بوليغوت» ويدعو الفنانين الشباب للاحتذاء به و ينهيه عن الاحتذاء بـ«بوزون».

11- «بوليغوت»: وهو رسام يوناني، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وكان من جزيرة فاسوس وتقديراً لرسومه منح حق المواطنة في أثينا.

12- الأتروسييس: وهي حضارة سابقة للحضارة الرومانية، وجدت في الألف الأول قبل الميلاد في شمال غرب إيطاليا الحالية، وقد أثرت هذه الحضارة تأثيراً كبيراً على الحضارة الرومانية، واندجت معها في القرن الثالث قبل الميلاد.

13- «باريس»: هو في الأسطورة اليونانية ابن ملك طروادة «برياما»، وقد خوله الإله «زيوس» بالحكم على أيهن أجهل من بين «هيرا» و«أثينا» و«أفروديت» اللواتي كن يتجادلن في هذا الموضوع (وهو ما سمي فيما بعد بمحكمة «باريس»). وقد حكم «باريس» بأن «أفروديت» هي أجهلهن. فحاز على دعمها بينما حاز على كراهية «أثينا» و«هيرا». مما أدى إلى سقوط طروادة في الحرب.

14- «أثينا»: هي في الأسطورة اليونانية إلهة الحكمة والحرب العادلة.

15- «هيرا»: وهي إلهة من ما قبل الأسطورة اليونانية، دخلت الأسطورة اليونانية فكانت أخت «زيوس» وزوجته، والتي بقي زواجها سراً لمدة 300 عام حسب الأسطورة، وكانت الزوجة السابعة لـ«زيوس»، وعندما أعلن

«زيوس» زواجه منها نصّبها ملكة على الآلهة، وكانت مثل «زيوس» إلهة البرق والرعد والعواصف والمطر. وفيما بعد أصبحت إلهة الأعراس والزواج.

16- الفيدى: من الكلمة السنسكريتية فيدا وتعني المعرفة، والفيدى هي مجموعة آثار هندية، تحتوي على تعاليم دينية وأناشيد دينية، لديانات هندية قديمة مثل البراهمية. وهي مؤلفة من عدة أنواع.

17- ريغفيدى: هي إحدى أنواع الفيدى وتحتوي على الأناشيد والنصوص الأدبية والرسوم.

18- «أندورو»: إله هندي.

19- «أندروميذا»: هي حسب الأسطورة اليونانية ابنة ملك أثيوبيا «كيفي» افتخرت أمها بجمالها فقالت إنها أجمل من أجمل واحدة من حوريات البحر، مما أغضب حوريات البحر اللواتي اشتكين بدورهن إلى «بوسيدون» إله البحر الذي أرسل إلى أثيوبيا مخلوقاً عجيباً، يأكل لحوم البشر، وكانت الطريقة الوحيدة للخلاص من هذا المخلوق هي تقديم «أندروميذا» له، فقاموا بشد وثاقها إلى حائط على شاطئ البحر، وعندما ظهر المخلوق العجيب لأخذها أنقذها «بيرسيوس» وقتل المخلوق العجيب. وبعد ذلك تزوجها، وعندما ماتت تحولت إلى مجموعة من النجوم، والمجموعة التي تحمل هذا الاسم يمكن رؤيتها من القسم الشمالي في الكرة الأرضية.

20- «بيرسيوس»: هو في الأسطورة اليونانية بطل من مآثره قطع رأس «الميدوزا» وإنقاذ «أندروميذا».

21- «ميناندروس» (ولد حوالي 343 ق.م، وتوفي حوالي 291 ق.م) شاعر ومؤلف كوميدي يوناني والممثل الأساسي للكوميديا الحديثة.

- 22— «زيوس» (زيفس): كبير الآلهة عند اليونانيين القدماء.
- 23— «فيلهلم أورانيا الأول»: (1533 — 1584م) أمير هولندي وأحد نشطاء الثورة البورجوازية الهولندية، وقائد المعارضة المعادية لإسبانيا، قتل على يد عميل إسباني.
- 24— «مارتن لوثر»: (1483 — 1546م) قائد حرب الإصلاحات ضد الكنيسة الكاثوليكية.
- 25— «بريدينو»: (1585 — 1618م) مؤلف مسرحي هولندي، من مؤلفاته الدرامية (رودريوك) و(ألفونس) ومن مؤلفاته الكوميدية (الموريتانية) والتي صدرت 1617م، كما أن له الكثير من الأشعار ذات المضمون السياسي.
- 26— كان عند «جوزيفين» زوجة «نابليون» عشيق، هو «بارا» عضو الإدارة في الجمهورية الفرنسية وكان «نابليون» قد علم بذلك أثناء وجوده في مصر أو قبل ذلك بقليل، وكتب لأخيه بأنه عندما يعود سوف يطلقها، وقد وقعت هذه الرسالة في أيدي الإنكليز الذين قاموا بنشرها، وربما يكون هذا الأمر بالذات هو ما تطرق إليه الرسامون الإنكليز في رسومهم الكاريكاتيرية.
- 27— «بالميرستون»: هو رئيس وزراء بريطانيا منذ عام 1855 وحتى عام 1858م وكان قبلها منذ عام 1835م وزيراً للخارجية، مع فترات انقطاع بسيطة عن هذا المنصب.
- 28— «جون بول» (؟ — 1381م) مبشر إنكليزي شعبي، وأحد قادة انتفاضة «أوت تايلور» ، أعدم عام 1381م ويستخدم في الرموز والأعمال الأدبية كرمز.
- 29— «ليفيتان»: هو مذيع روسي، كان يذيع البلاغات الرسمية أثناء الحرب العالمية الثانية وكان بصوته يلهب حماس الجماهير.

30- «الكوكرينيكسيون» (الكوكرينيكسي): هو الاسم الفني المشكّل من المقاطع الأولى في أسماء الفنانين الثلاثة الذين عملوا تحت هذا الاسم وهو «كوبريانوف» (1903) و«كريلوف» (1902) و«سوكولوف» (1903) الذي كان يعمل قبل تشكيل هذه الجماعة تحت اسم يبدأ بحرف «نيكس».

31- «المارسيليز»: أغنية ثورية فرنسية من كلمات وألحان «روجيه دي ليل» (1792) كانت في البداية نشيداً لجيش الراين الفرنسي، ثم تحولت إلى نشيد فرنسا الوطني في عهد الجمهورية الثالثة.

32- القرونند: كلمة فرنسية تعني حرفياً المنجنيق، كما أن هنالك حركة اجتماعية حملت هذا الاسم وكانت موجودة من عام 1648 وحتى عام 1653م. وكانت ضد الحكم المطلق. وربما سميت الصحيفة بهذا الاسم تيمناً بهذه الحركة.

33- الكارمانولا: أغنية شعبية ثورية فرنسية، تحتوي على مواضيع سياسية حيوية، اشتهرت لأول مرة في آب 1792م ثم غنيت أثناء ثوري 1830 و1848م وكذلك أثناء كومونة باريس وفي كل مرة كانت الكلمات تختلف بما يتناسب وموضوع الساعة.

34- الاسم الأصلي (ليفيه).

35- الاسم الأصلي (كولومبوم).

36- التوري: Tory حزب سياسي إنكليزي ظهر في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن السابع عشر وكان يعبر عن مصالح الأرستقراطية الإقطاعية، والقيادة الروحية العليا للكنيسة الانغليكانية، وعلى قاعدته شكّل حزب المحافظين في أواسط القرن التاسع عشر.

المراجع

- 1— «راينوف بوغوميل»، الفانوس السحري، دراسات في تاريخ الفن التشكيلي ونقده، دار الشيخ، دمشق، 1988م. ترجمة ميخائيل عيد.
- 2— «برجسون هنري»، الضحك، بحث في دلالة المضحك، دار الأوابد، دمشق، 1964م. ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور عبدالله عبدالدائم.
- 3— «بختين ميخائيل»، الكلمة في الرواية وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1988م ، ترجمة يوسف حلاق.
- 4— «كلينكل — براندت» إيفلين، رحلة إلى بابل القديمة، دار الجليل، دمشق 1984. ترجمة الدكتور زهير الداوودي.
- 5— دكتور محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.
- 6— دكتور أحمد عادل راشد، الإعلان، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.
- 7— جوزيف الياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام 1865 — 1965م، ج2، دار النضال، بيروت، 1983م.
- 8— حكومة وأهالي وخلافه؟ هجرت، المقدمة بقلم صلاح عيسى، دار الأهالي، القاهرة، 1987م.
- 9— الأسبوع العربي 12/10/1989م. فن الكاريكاتير في الغرب للدكتور محمود مقداد.

- 10- Wright jh. England under the House of Hanover. Illustrated from the caricatures and satires. London, 1848 .
- 11- Wright jh. and Evans R. Historical and descriptive account of the caricatures of James Gillray. London, 1851.
- 12- Wright jh. A history of caricature and grotesque in literature and art. London, 1865.
- 13- Gergo j. The works of James Gillray, the caricaturist, with story of his life and time. Ed. By T. Wright. London, 1873.
- 14- Grego j. Rowlandson, the caricaturist, VI – II, London, 1880.
- 15- Champfleury j. Histoire de la caricature sous la republique l’empire et la restauration. Paris (s.a).
- 16- Wright jh. Caricature history of three Georges, London. 1898.
- 17- Filon Aug. L’io caricature en Angleterre. Paris. 1902.
- 18- Brinton S. The eighteenth century in English caricature. London, 1904.
- 19- Ewart H. Henry Burbury, caricaturist. “Connoisseur “, 1903, V.VI, P. 85-89, 156-159.
- 20- Liynch B. A history of caricature, London, 1926.
- 21- Davis F. Bunbury the amateur satirist. “Illustrated”, London news, 1937, det 30, P. 110.

- 22- Low D. British cartoonists, and comie artists. London. 1942.
- 23- Nervins and Weitenkampf. A century of political caricature New York, 1944.
- 24- Mott. A history of american journalism, vol II, New York, 1956, P. 18.
- 25- Donald H. Karshan. American printmaking 1670-1968. " Art in American", July-August, 1968, P. 23.
- 26- Mott American journalism and journalists. Chicago, 1960, P.40.
- 27- Richardson E. Painting in Amirican, New York, 1956, P. 297, ill. 138.
- 28- Larkin O. Art and life in American. New York, 1960, P. 259.
- 29- Young A. This life and times. New York, 1939, P.60.
- 30- Lhote H. Vers d'autres Tassilis. Nouvelles de'eauvertes au Sahara. " Arthaud", Paris, 1976.
- 31- Passeron R. Daumier. T'emoin de son temps. "Fribourg". Office du Livre, 1969.
- 32- Goga. A series of etchings on whimsical plots los "Vaprichos". Diario de Madrid, February 6, 1799.
- 33- Charles de Tolney. Bosch. Metguen and Co. Ltd. London, 1966.
- 34- Martin Gregory. Bosech. Blaecker, Calmann Cooper, Ltd. 1978.
- 35- Martin Gergory. Bruegel. Blacker, Calmann Cooper Ltd. 1978.
- 36- Huisings Johan. Homo Ludens. In de schaduwen van morgen. Haarlem, 1938.

- 37- Алпатов М.В. Всеобщая история искусства. М.: Искусство, 1955. – Т.3.426 с.
- 38- Алпатов М.В. Художественные проблемы искусства Древней Греции.-М.: Искусство, 1987.-222 с.
- 39- Баландин Р.К., Бондарен Л.Г. Природа и цивилизация.-М.: Мысль, 1988. – 391 с.
- 40- Бахтин М.М. Вопросы литературы и эстетики. Исследования разных лет.-М. : Художественная литература, 1975. – 809 с.
- 41- Белинский В.Г. // Собр. Соч. В 3-х т. –М., 1948. – Т. 1.-860 с.
- 42- Белинский В.Г. // Собр. Соч. В 3-х т. – М., 1948. – Т.1.- 860 с.
- 43- Виппер Б.Р. Статьи об искусстве. – М.: Искусство, 1970.-591 с.
- 44- Галич М. История доколумбовых цивилизаций. – М.: Мысль,1990. – 407 с.
- 45- Дукельская Л.А. Английская бытовая карикатура второй половины XVIII века.- М.-Л., : Советский художник, 1966. –С. 3-27.
- 46- Ефимов Б.Е. Основы понимания карикатуры. –М.: Академия художеств, 1961.-206 с.
- 47- Житомирский А. Искусство политического фотомонтажа. М.:Плакат, 1983. – С. 5-12, 102-113.
- 48- История русского и советского искусства /Под редакцией Д.В.Сарабьянова.-М.: Высшая школа, 1979.-381с.
- 49- Корнилова А.В. Мир альбомного рисунка. – Л.: Искусство,1990, -286 с.
- 50- Кукрыниксы. Втроем. –М.: Советский художник, 1975, -294 с.
- 51- Лимбан М.Вернер Клемке.-Л.:Искусство,1983-262 с.
- 52- Маккай Л. Мир Ренессанса. –Будапешт: Корвина,1980ю-159 с.

- 53- Менандр. Комедии. Фрагменты. – М.: Наука, 1982.- 574 с.
- 54- Менап Р. Мифы в искусстве старом и новом.-М.: Молодая гвардия, 1992.-278 с.
- 55- Полевой В.М. Двадцать лет французской графики.- М.: Искусство, 1981,-318 с.
- 56- Полевой В.М. Малая история искусств XX века. – М.: Искусство, 1991.-303 с.
- 57- Самойлов Л.С. Карикатура, карикатурист, читатель. Т-М.: Знание, 1981. – 56 с.
- 58- Соколов Г.И. Искусство этрусков. – М.:Искусство,1990.-318
- 59- Стейнлейн Т.А. – М.: Государственное изобразительное искусство, 1960. – с.1-14.
- 60- Тахо-Годи А.А. Греческая мифология. – М.: Искусство,1989. – 304 с.
- 61- Шлеев В.В. Революция и изобразительное искусство. – М.: Изобразительное искусство, 1987.- 262 с.

THE STORY
OF CARICATURE
Mamdouh hamada
damascus
1999 .

THE STORY
OF CARICATURE
Mamdouh hamada
damascus
1999 .

دار عشقوت للنشر

دمشق - ص ب : ٢٩١٥٣

الحسكة ص ب : ٧٢